مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٢٥)

شرح صريح السنة
للإمام أبي جعفر الطبري

تأليف

عَبْدالعزيز بنِ عبْدالله الرَّاجحي

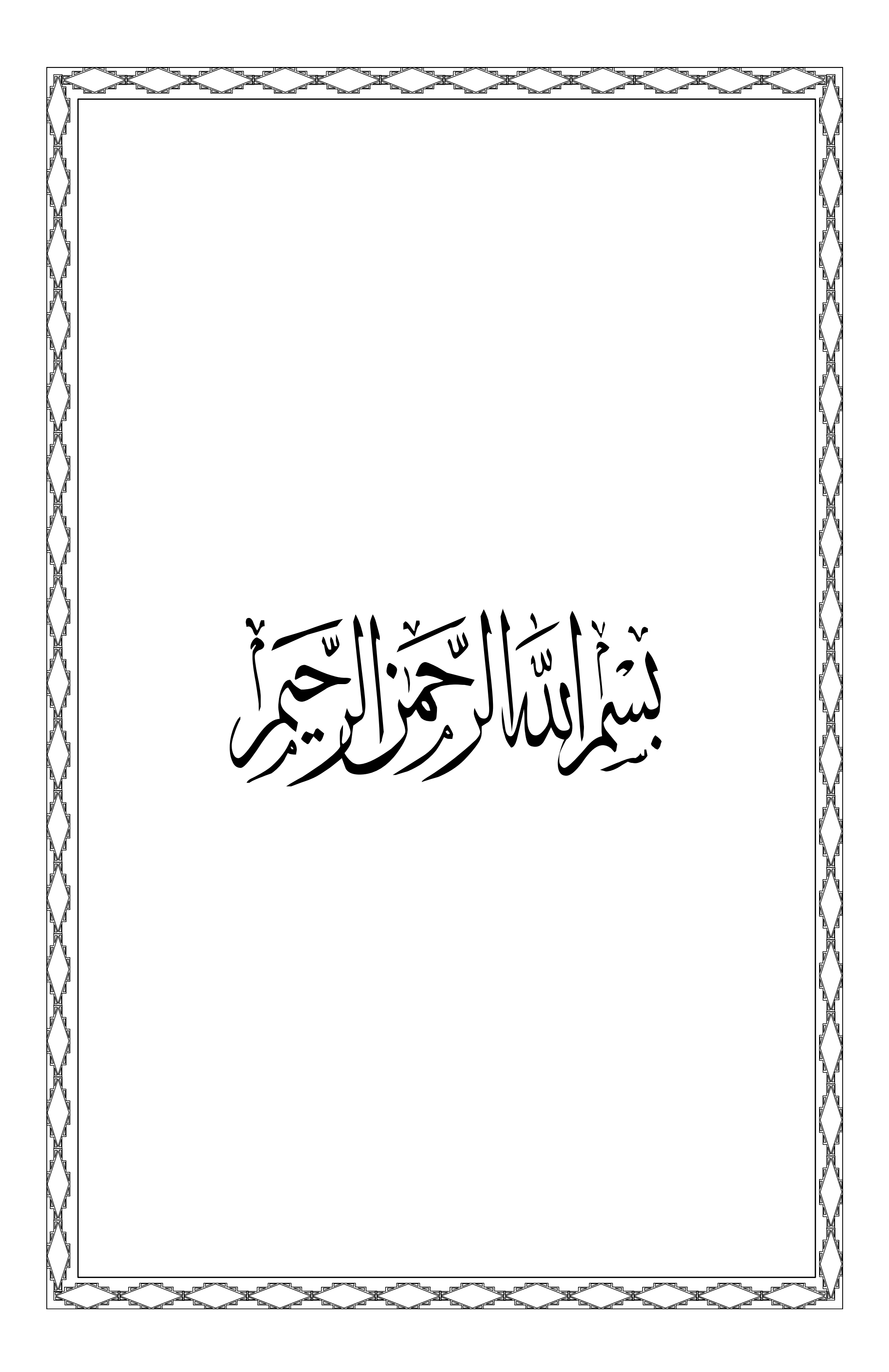
شرح

صريح السنة

للإمام للطبري

الطبعة الثانية
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تم الصف والإخراج
بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي
للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وسيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، الهاشمي القرشي العربي المكي ثم المدني، أشهد أنه رسول الله حقا وأنه رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس، العرب والعجم، أشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه من ربه اليقين فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وعلى أصحابه، وعلى أتباعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فاني أحمد الله وأثني عليه الخير كله، وأسأله المزيد من فضله، وإن هذه الرسالة: «صريح السنة» هي من تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، **والمراد بصريح السنة**: الخالص الذي لا لبس فيه، **والمعنى**: السنة الصحيحة التي ليس في ثبوتها شك.

ترجمة المؤلف:

هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، من أهل آمل بطبرستان، ولد سنة ٢٢٥ هـ، وتوفي سنة ٣١٠من الهجرة النبوية، والمؤلف إمام من الأئمة؛ بل هو شيخ المفسرين وإمامهم.

شيوخه وتلاميذه:

ـ **من شيوخه**: محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وأحمد بن منيع، وأبو كريب محمد بن العلاء.

ـ **من تلاميذه**: أحمد بن كعب القاضي، ومحمد بن عبد الله الشافعي.

ثناء أهل العلم عليه:

١ ـ قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد:

كان أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله ويُرجع إلى رأيه؛ لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم مالـم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وله معرفة في الأحكام وفي مسائل الحلال والحرام وله معرفة بأيام الناس وأخبارهم، وفقيه مفسر ومؤرخ .أ.هـ[١].

٢ ـ نقل السبكي في طبقات الشافعية الكبرى قول الفرغاني:

كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ـ يعني يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ مع عظيم ما يلقى من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد، فأما أهل العلم والدين فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته بما كان عليه من حصة خلفها أبوه بطبرستان يسيرة .ا.هـ[٢].

---

(١) تاريخ بغداد ج٢/ ٥٣٥، لأبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج٣/ ١٢٥، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المتوقى سنة ٧٧١هـ.

۞ مصنفاته:

١ ـ أعظم مصنفاته رحمه الله تفسيره المسمى: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) وهو كتاب عظيم في عدةأجزاء، وهو متداول ومعروف،وهو تفسير بالأثر، وإليه يرجع المفسرون.

وقد اختصر تفسيره: الحافظ ابن كثير رحمه الله وأحيانا يتعقبه وأحيانا يوافقه فيما يقرره وما يختاره من الآراء والأقوال.

٢ ـ (تاريخ الأمم والملوك) وهو كتاب كبير في التاريخ، فذلك كتابان كبيران عظيمان: كتاب التفسير وكتاب التاريخ.

٣ ـ (تهذيب الآثار وتفصيل المعاني الثابتة عن الرسول من الأخبار).

٤ ـ كتاب خفيف في أحكام شرائع الإسلام:(اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام).

٥ ـ كتاب لطيف وهو: (القول في أحكام شرائع الإسلام).

٦ ـ (التبصير في معالم الدين).

۞ الرد على من رماه بالتشيع:

اتُّهِمَ الإمام ابن جرير بالتشيّع، حيث اتهمه أبو بكر بن أبي داود وأصحابه.

وليس عندهم دليل، وذلك:

أ ـ لأن ابن أبي داود مُتهم فلا يقبل طعنه في ابن جرير؛فقد نسب إليه شيء من النصب.

ب ـ مما يدل أيضا على براءته ما ذكره الذهبي في سير أعلام

النبلاء، فقال[١]:

[كان الإمام الطبري من رجال الكمال وشُنّع عليه يسير تشيع وما رأينا عليه إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء ولم نر ذلك في كتبه].

ج ـ أنه من المعروفين بالرد على الروافض حتى إنه يكفر من يقول أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى، ويقول بقتله[٢].

ـ على كل حال ابن جرير إمام، ونسبة التشيع إليه هذه قد تنسب إلى كثير من الأئمة بمعنى: الميل إلى أهل البيت ومحبة أهل البيت.

وكل أهل السنة يحبون أهل البيت ويميلون إليهم والنبي حث على العناية بأهل بيته، فقال ﷺ: «**أذكركم الله في أهل بيتي**»[٣].

والميل من ابن جرير إلى أهل البيت، قد يكون شيئاً يسيراً، **فقد يؤخذ عليه** ـ كما سيأتي ـ أنه لما ذكر الخلفاء الأربعة ذكر أبا بكر وعمر و عثمان رضي الله عنهم بكناهم، ثم لما وصل إلى ذكرعلي رضي الله عنه، قال: إمام المتقين وأمير المؤمنين.

(١) سير أعلام النبلاء ج١١/ ١٧١، للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي المتوفى سنة ٧٥٨ هـ.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ج١١/ ١٧٠.

(٣) روى مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»... الحديث

ـ المقصود أن ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سلفي المعتقد، وهذا الذي نسب إليه شيء يسير لا يضره، **وله عذر** بأنه يرد على الرافضة، أو كما قيل: أنه ألّفها للرد على من رماه بالتشيع.

موضوع الرسالة:

بيّن الإمام ابن جرير في هذه الرسالة معتقد أهل السنة والجماعة وابتدأها بمقدمة، وذكر في هذه المقدمة:

أن الله تعالى أكرم رسله والمقربين من أولياءه بالمحن الآجلة والعاجلة، ليستوجبوا بصبرهم عليها الكرامة من الله، والمنزلة العالية التي كتبها لهم.

ثم خَلَف الأنبياءَ والرسلَ علماءُ كلِّ أمة، وبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضل العلم والعلماء في كل أمة وعلماء هذه الأمة بالخصوص، وذكر فضلهم ومزيّتهم فهم ورّاث الأنبياء وأنهم يحملون وراثة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

فضلهم الله بالعلم وكرمهم بالحلم، وجعلهم قدوة وأسوة للناس، وأجزل الأجر والثواب، وابتلاهم الله بالأشرار، وامتحنهم بالسفهاء والوضعاء؛ لكنهم صبروا، ولم يثنهم ذلك عن الدعوة إلى الله، وإظهار دين الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم بعد ذلك تكلم عن معتقد أهل السنة والجماعة في القرآن وأنه كلام الله.

ثم تكلم عن القول في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم تكلم عن القول في أفعال العباد، حسناتهم وسيئاتهم.

ثم تكلم عن الصحابة وبيان معتقد أهل السنة والجماعة وما دلت عليه النصوص.

ثم تكلم عن القول في الإيمان وزيادته ونقصانه خلافاً للمرجئة.

ثم تكلم عن القول في ألفاظ العبادة في القرآن.

ثم تكلم عن القول عن الاسم أهوَ المسمى أو غير المسمى.

ثم ختم ذلك في تحريم تقويل أحد مالم يقله؛ بأن يتقول على الناس ـ وخصوصاً أهل العلم ـ مالم يقولوه.

هذا موضوع هذه الرسالة وهي رسالة مختصرة لكنها شاملة وجامعة لمعظم معتقد أهل السنة والجماعة في أمور الاعتقاد.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح قلوبنا وأموالنا ونياتنا وذرياتنا، كما أسأله أن يرزقنا جميعا العلم النافع والعلم الصالح، وأسأله أن يرزقنا جميعاً الإخلاص في العمل، والصدق في القول.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

✍ كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

سند الكتاب إلى أبي جعفر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ، أَنْبَأَنَا جَدِّي أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ أَنْبَأَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الدَّيْنَوَرِيُّ، قَالَ: قُرِئَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ وَأَنَا أَسْمَعُ:

الشَّرْحُ

ابتدأ تلميذ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الرسالةَ بالبسملة:

١ ـ اقتداءً بالكتاب العزيز؛ فإن الله سبحانه افتتح كتابه بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١].

٢ ـ كان النبي يفتتح كتبه ورسائله بـ(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم) إذا كتب إلى الملوك ورؤساء القبائل والعشائر، ومن ذلك كتابه إلى هرقل، لأنه لما كتب ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى هرقل قال: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ...**»[(١)].

(١) متفق عليه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ رقم (٤٥٥٣) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣).

فـ«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» يُبتدأ بها في الرسائل المؤلفة وفي الخطب والمواعظ.

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الباء للاستعانة، يعني: أستعين باسم الله.

و(الله) أعرف المعارف، ولا يُسمى به غيره.

- **وأصل الله**: الإله، والإله على وزن فِعَال، حُذفت الهمزة فالتقت اللام الأولى الزائدة واللام الثانية التي هي عين الكلمة، ففُخّمت فصارت: الله.

والله هو: المألوه تألهه القلوب محبة وإجلالاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً، والقلوب فيها فقر ذاتي لا يُسد هذا الفقر إلا بتألّهها لله، وبمحبتها له وإجلاله وتعظيمه، فلا يزيل الإنسان هذا الفقر إلا إذا أَلِهَ ربه، وعَبَدَه وخضع له، وأخلص له العبادة، قال ابن عباس رضي الله عنه: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[(١)].

- وتأتي الأسماءُ كلها صفاتٍ لله، فيقال: الله الرحمن الرحيم العلي العظيم السميع البصير؛ كما في الآية: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحَشر: ٢٣]، كلها من الأسماء التي تعتبر أوصافاً لله.

فكل اسم من أسماء الله مشتمل على صفة؛ لأن أسماء الله مشتقة وليست جامدة، فـ"**الله**" اسم مشتمل على صفة الألوهية،

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ج١/ ١٢٣، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الأثر في التفسير المذكور: إسناد هذا الخبر ضعيف، قال: ونقله ابن كثير في التفسير (١/ ٣٠) عن هذا الموضع من الطبري، وقال: "وهذا الأثر غريب! وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفًا وانقطاعًا. أ. هـ، تفسير ابن جرير ج(١/ ١١٣).

و"**الرحمن**" مشتمل على صفة الرحمة، و"**العليم**" مشتمل على صفة العلم، و"**الحكيم**" مشتمل على صفة الحكمة، و"**القدير**" مشتمل على صفة القدرة، و"**السميع**" مشتمل على صفة السمع، و"**البصير**" مشتمل على صفة البصر، وهكذا...

فكل اسم من أسماء الله متضمن على صفة **ولا عكس**، فلا يُشتق من الصفة: اسم، فلا يُشتق من صفة الغضب: الغاضب، ولا يشتق من صفة الرضا: الراضي، بل **الاسم متضمن للصفة، والصفة لا يلزم منها الاسم.**

❒ أسماء الله نوعان:

النوع الأول: أسماء خاصة به لا يسمى بها غيره، مثل:

الله ـ الرحمن ـ خالق الخلق ـ مالك الملك ـ رب العالمين ـ القابض ـ الباسط ـ الخافض ـ الرافع ـ المعطي ـ المانع ـ ذو الجلال والإكرام.

النوع الثاني: أسماء لله مشتركة، يسمى الله بها، ويسمى بها المخلوق، فإذا سمي الله بها فلهُ الكمال، مثل:

العزيز ـ الرحيم ـ السميع ـ البصير ـ الحي ـ الغفور ـ الودود، فكل هذه مشتركة، فإن اسم: العزيز، اسم من أسماء الله، وقد قال الله: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [يُوسُف: ٥١]، والرحيم والرؤوف من أسماء الله، ويسمى بهما المخلوق: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التّوبَة: ١٢٨]، فسمّى الله نبيه بالرؤوف الرحيم، وسمّى نفسه بالرؤوف الرحيم.

○ قوله: (الرحيم): اسم آخر من أسماء الله بعد اسم الله الرحمن، وقد **قيل**: الرحيم خاص بالمؤمنين.

وقيل: الرحيم عام، كما في الحديث: «**رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا**»(١).

○ قوله: (وصلى الله على سيدنا) **أصح ما قيل في صلاة الله على عبده**: ثناؤه عليه في الملإ الأعلى، كما روى البخاري في صحيحه عن أبي العالية أنه قال: «**صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ**»(٢) فأنت تقول: اللهم صل على محمد، يعني: اللهم أثنِ عليه في الملإ الأعلى.

أما الصلاة من العباد فهي: الدعاء.

والسيد هو: الإمام والقدوة الذي يُقتدى به، فالرسول ﷺ هو سيد الناس وأفضلهم قال الرسول ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**»(٣).

---

(١) روى الطبراني في الكبير ج٢٠/ ١٥٤عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا مُعَاذُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ؟ فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الدِّينِ مِثْلُ جَبَلِ صَبِرٍ أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ - وَصَبِرٌ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ - فَادْعُ بِهِ يَا مُعَاذُ قُلِ: اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكِ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمَا، وتَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»

(٢) ذكره البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ بين رقمي (٤٧٩٦، ٤٧٩٧).

(٣) أخرجه عن أبي سعيد الخدري الترمذي في كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، رقم (٣١٤٨)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم (٤٣٠٨)، والإمام أحمد ج(١٧/ ١٠)، رقم (١٠٩٨٧)، وصححه الألباني.

○ قوله: (وآله) في المراد بالآل قولان:

١ ـ قيل: ذريته.

٢ ـ وقيل: أتباعه على دينه.

والثاني هو الأشمل، ويدخل في ذلك ذريته وأزواجه دخولاً أولياً، ويدخل أيضا: أصحابه رضوان الله عليهم.

وإذا عَطَف فقال: وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته، فسيكون العطف للأصحاب وللأزواج والذرية، من عطف الخاص على العام.

ولعل في النسخة سقْط وأنه هكذا: وصحبه وسلم.

○ قوله: (ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم) هذه كلمة عظيمة قال فيها النبي ﷺ كما في حديث أبي موسى أنها كنز من كنوز الجنة؛ ففي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**» ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: «**يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» أَوْ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»[(١)].

ومعنى: (لا حول ولا قوة إلا بالله) لا تحوّل من حال إلى حال، ولا قوة لي يا الله على فعل أي شيء إلا بمعونتك، إلا بك يا الله، ولهذا شُرع للمسلم إذا سمع المؤذنَ يقول: (حي على الصلاة،

(١) متفق عليه، البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، رقم (٦٣٨٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٤). واللفظ للبخاري.

حي على الفلاح) أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله[(١)]؛ لأن المؤذن ينادي: حي على الصلاة، أقبل على الصلاة، فأنت تقول: يا الله لا أستطيع أن أجيب المؤذن ولا أتحول من حال إلى حال إلا إذا أعنتني. فلا حول ولا قوة على فعل الشيء إلا بالله.

(العلي) اسم من أسماء الله يشتمل على صفة العلو، والله سبحانه له العلو بأنواعه الثلاثة:

١ ـ علو الذات فذاته علية فوق العرش.

٢ ـ علو القدر والشأن والعظمة.

٣ ـ علو القهر والسلطان.

فالعلو ثلاثة أنواع كلها ثابت لله، كما قال العلامة ابن القيم في النونية:

والفوق أنواع ثلاث كلها ثابتة لله بلا نكران[(٢)]

ـ وأهل البدع أثبتوا نوعين من العلو وأنكروا نوعا؛ فأثبتوا:

١ ـ علو القدر والعظمة والشأن.

٢ ـ علو القهر والسلطان.

وأنكروا: علو الذات؛ قالوا: إن الله ليس فوق العرش ـ نعوذ بالله ـ **وهم طائفتان من الجهمية:**

الجهمية الأولى: يقولون: إن الله في كل مكان.

الجهمية الثانية: سلبوا النقيضين؛ فقالوا: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، فأنكروا علو الذات، وحملوا النصوص

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القول مثل القول المؤذن لمن سمعه... رقم (٣٨٥).

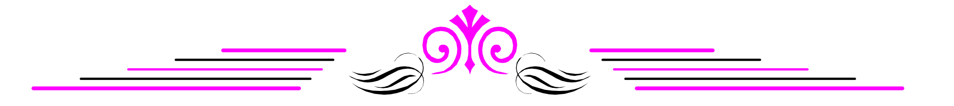
(٢) نونية ابن القيم ص٧٥.

الواردة في علو الذات على علو القدر والشأن، وعلو القهر والسلطان.

(العظيم) اسم من أسماء الله المشتركة،مشتمل على صفة العظمة.

ثم ذكر سند هذه الرسالة فقال: (أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ، أَنْبَأَنَا جَدِّي أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ أَنْبَأَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الدَّيْنَوَرِيُّ، قَالَ: قَرِئَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ وَأَنَا أَسْمَعُ): قُرِأت هذه الرسالة على المؤلف أبي جعفر ابن جرير الطبري، وهذا يسمى العرض عند أهل الحديث، والعرض هو أن يقرأ التلميذ على الشيخ وهو يسمع.





مقدمة الكتاب

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفْلِجِ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ، وَمُدْحِضِ الْبَاطِلِ وَمَاحِقِهِ، الَّذِي اخْتَارَ الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ دِينًا، فَأَمَرَ بِهِ وَأَحَاطَهُ، وَتَوَكَّلَ بِحِفْظِهِ وَضَمِنَ إِظْهَارَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ رُسُلًا ابْتَعَثَهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ بِهِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا نَابَهُمْ فِيهِ مِنْ جَهَلَةِ خَلْقِهِ، وَامْتَحَنَهُمْ مِنَ الْمِحَنِ بِصُنُوفٍ، وَابْتَلَاهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ بِضُرُوبٍ، تَكْرِيمًا لَهُمْ غَيْرَ تَذْلِيلٍ، وَتَشْرِيفًا غَيْرَ تَخْسِيرٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، فَكَانَ أَرْفَعَهُمْ عِنْدَهُ دَرَجَةً أَجَدُّهُمْ إِمْضَاءً مَعَ شِدَّةِ الْمِحَنِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ زُلْفًا، وَأَحْسَنُهُمْ إِنْفَاذًا لِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ مَعَ عَظِيمِ الْبَلِيَّةِ.

الشَّرْحُ

أول ما ابتدأ المؤلف ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ)؛ وذلك لأن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لله رب العالمين وهي سورة الفاتحة، وذلك باعتبار ان البسملة ليست من الفاتحة، **والحمد أكمل من المدح**:

فالحمد: الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية، مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

والمدح: أن تثني على الممدوح بصفاته، وقد تكون هذه الصفات ليست اختيارية، وإنما صفات ليس له دخل فيها.

فالإنسان فيه صفات اختيارية وفيه صفات اضطرارية،فالصفات الاضطرارية مثل كون الإنسان طويل أو قصير أو أبيض أو أحمر أو أسود، فهذه صفات اضطرارية ليس له دخل فيها.

والصفات الاختيارية مثل: الكرم والشجاعة والإيثار، وحب الخير، والإقدام وحسن الخلق.

والأسد يُمدح بأنه: قوي ومفتول الساعدين،وهذه القوة ليس له فيها اختيار، بل قد جبل عليها.

فالحمد هو: الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية مع حبه وإجلاله وتعظيمه، فإذا اجتمع ثناء على صفات اختيارية مع الحب والإجلال هذا هو الحمد.

أما المدح فهو أن تُخبر وتثني بصفاته سواء كانت اختيارية أو اضطرارية، ولهذا جاء الحمد في الرب سبحانه وتعالى،فأخبر عن نفسه بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، ولم يقل: أمدح الله رب العالمين.

و(أل) للاستغراق، فأنواع المحامد كلها مستغرقة لله فهي ملك لله ومستَحقة له؛ فمعنى (الْحَمْدُ لِلَّهِ): أُثني على الله بصفاته، مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

○ قوله: (مُفْلِجِ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ) وصف الله أنه مفلج الحق يعني: مظهر الحق.

أفلج أي: أظهر،ومنه أنه إذا اختصم شخصان وخصم أحدهما الآخر يقال: فلج أحدهما الآخر، فلجه بمعنى: غلبه بالحجة وظهر عليه.

فمعنى (الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفْلِجِ الْحَقِّ) مُظهر الحق، أظهره وبينه في كتبه.

وأعظم الحق استحقاق الله للعبادة، بيّن الله في كتابه أنه مستحق العبادة وأنه معبود بالحق وغيره معبود بالباطل، كما قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحَجّ: ٦٢].

فأعظم الحق هو عبودية الله وإظهار أنه ـ سبحانه وتعالى ـ مستحق للعبادة في كتبه وعلى ألسنة رسله.

فالحمد لله مظهر الحق وناصره، نصر الحق بأن أمر بفعل الحق.

والحق هو: ما جاء في كتاب الله، فالحق أحقه الله وأظهره ونصر أهله وهم أهل الإيمان، وأهل التوحيد، نصر الحق الذي بيّنه في كتابه، ونصر أهل الحق الذين عبدوه، هم وأتباعهم، فنصرهم الله على غيرهم من الكفرة والمشركين وأهل البدع.

○ قوله: (وَمُدْحِضِ الْبَاطِلِ وَمَاحِقِهِ) مُدحض يعني: مزيل ومبطل، دحض الشيء أزاله وأبطله وأذهبه.

والله تعالى يظهر الحق ويعليه ويؤيده وينصره ويدحض الباطل، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبيَاء: ١٨]، فالله ينصر أهل الحق الموحدين والمؤمنين، ويبطل الباطل وأهل الباطل ويدمغه ويدحضه ويزيله ويذهبه.

○ قوله: (الَّذِي اخْتَارَ الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ دِينًا) الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، فاستسلم بمعنى: انقاد، مثل: الجمل منقاد ومستسلم، فاستسلم أي: انقاد وذل وخضع، فالمسلم خاضع لله ذليل محب لله منقاد لأوامره، بخلاف الكافر فهو غير مستسلم، فالكافر إما مستكبر وإما مشرك، **فالناس ثلاثة أقسام**:

القسم الأول: مسلم مستسلم لله ومنقاد خاضع له، هؤلاء أهل

الإيمان والإسلام.

القسم الثاني: مستكبر عن عبادة الله ومستنكف، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣﴾ [النِّسَاء: ١٧٣].

القسم الثالث: مشرك عبد الله وعبد معه غيره.

فالمستكبر والمشرك كلاهما في النار، والمستسلم هو الموحّد وهو في الجنة.

ـ استدراك:

○ قوله: (الَّذِي اخْتَارَ الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ دِينًا) فيه إشكال؛ من جهة أن الدين هو ما يدين به الإنسان ربه ويعتقده، فالله لا يدين لأحد، الله هو المعبود بالحق، والدين ما يدين به الإنسان ربه ويعبد به ربه، ولو قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: اختار الإسلام لعباده ديناً أو رضي الإسلام لعباده ديناً كما قال الله لكان أولى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣] فهو رضيه لعباده.

أو لو أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قال: الدين عنده الإسلام، كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥] وذلك في حق من يبتغي من المخلوقين، أما هو سبحانه فهو الخالق، وهو المشرّع وهو الآمر والناهي.

ويُمكن تأويل هذه العبارةبأن يكون المراد: الذي اختار الإسلام لعباده وأمرهم به، لكن الأولى أن يقول: الذي اختار الإسلام لعباده ديناً، أو الذي رضي الإسلام لعباده ديناً، كما قال الله في الآية الكريمة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ

دِينًاۚ﴾ [المَائدة: ٣].

○ قوله: (فَأَمَرَ بِهِ وَأَحَاطَهُ، وَتَوَكَّلَ بِحِفْظِهِ وَضَمِنَ إِظْهَارَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) الله تعالى أمر بالإسلام، أمر به عباده وهذا يؤيد أن الأولى أن يقول: اختار لعباده ديناً، فقوله: (فَأَمَرَ بِهِ) أي: أمر به عباده.

فالله أمر بالإسلام عباده وأحاطه، وتوكل بحفظ هذا الدين، فهذا الدين باق إلى قيام الساعة وهو محفوظ بحفظ مصادره، وهي الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر: ٩]، فالله تعالى توكل بحفظه.

والإسلام له معنيان:

المعنى العام دين الأنبياء جميعا: فالإسلام دين آدم عليه السلام ومن بعده فهو دين نوح وهود وصالح وعيسى وإبراهيم وموسى ومحمد، دين الأنبياء جميعاً، والإسلام في زمن آدم توحيد الله، وما جاء به آدم من الشريعة، والإسلام في زمن نوح هو توحيد الله، وما جاء به نوح من الشريعة، والإسلام في زمن هود توحيد الله، وما جاء به هود من الشريعة، والإسلام في زمن إبراهيم هو توحيد الله، وما جاء به إبراهيم من الشريعة، والإسلام في زمن موسى هو توحيد الله، وما جاء به موسى من الشريعة، والإسلام في زمن عيسى هو توحيد الله، وما جاء به عيسى من الشريعة، والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو توحيد الله، وما جاء به محمد من الشريعة الخاتمة.

المعنى الخاص توحيد الله والعمل بالشريعة الخاتمة: فالله تعالى حفظ هذا الدين وتكفل به، بخلاف الأمم السابقة، فحفظ القرآن وتوكل بحفظه وضمن حفظه فبقي، أما الكتب السابقة فلم

يتكفّل بحفظها فلهذا التوراة حُرّفت والإنجيل حُرّف؛ لأن الله وكَل حفظه إلي علمائهم والربانيين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾: طُلب منهم أن يحفظوا التوراة فلم يحفظوها، فدخل التغيير والتبديل للتوراة، وكذلك الإنجيل حُرّف.

أما القرآن فلم يكِل الله إلى الناس أو العلماء حفظه، بل توكّل بحفظه فحفظه بنفسه، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] فالقرآن محفوظ بحفظ الله.

وحفظ القرآن يتضمن حفظ السنة، لأن السنة وحي ثانٍ، وهذا يتضمن أن الحق باق والشريعة باقية، والحق لا يمكن أن يضيع في أي زمن من الأزمنة، بل لابد أن يبقى على الحق طائفة، كما قال الرسول ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»[(١)].

إذن فالدين محفوظ، والقرآن محفوظ، والسنة محفوظة، ولايمكن أن يضيع الحق، ولا يمكن أن يخلو زمن من الأزمنة بألا يوجد فيه مُوحّد أبداً؛ لأنه إذا خلا العالم من التوحيد والإيمان، قامت القيامة، وهذا يكون في آخر الزمان، بعد وجود علامات الساعات الكبرى، فتأتي ريح طيبة من اليمن تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، وفي الحديث الصحيح أنه لا يبقى أحد إلا قبضته حتى لو دخل أحدكم في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه[(٢)].

---

(١) متفق عليه من حديث معاوية البخاري في كتاب المناقب، باب بدون عنوان، برقم (٣٦٤١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قول: لا تزال طائفة... رقم (١٠٣٧)، وللفظ له.

فلا يبقى إلا الكفرة، والكفرة غير موحدين، فيخلو الزمان من موحّد فتقوم الساعة، وهم في ذلك حسن رزقهم دارٌ عيشهم، يتمثلهم الشيطان ويأمرهم بعبادة الأوثان[١] فعليهم تقوم الساعة.

وبهذا يتبين أن القرآن محفوظ، والسنة محفوظة، والشريعة محفوظة، وهذا الدين محفوظ، وأهل الإيمان والتوحيد باقون إلى قرب قيام الساعة، هذا معنى قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فَأَمَرَ بِهِ وَأَحَاطَهُ، وَتَوَكَّلَ بِحِفْظِهِ وَضَمِنَ إِظْهَارَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣]، هذا وعد من الله، فعلى رغم أنوف المشركين، فإن هذا الدين ظاهر ومنصور، كما قال العلامة ابن القيم في الكافية الشافية:

والدين ممتحن ومنصور فلا تعجب فهذه سنه الرحمن[٢]

فالدين منصور لكن لابد من الإمتحان.

○ قوله: (ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ رُسُلًا): اصطفى **يعني**: اختار سبحانه رسلا هم أفضل الناس نسباً وخَلقاً وخُلقاً وعلماً: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨]، وهو عليم بالذوات التي تصلح لغرس الكرامة، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٥]، فاختار من خلقه رسلاً لحمل الرسالة، وهو

(١) أخرجه مسلم من حديث عمرو بن العاص في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال، رقم (٢٩٤٠) وفيه أن الريح تخرج من قبل الشام وهو كذلك في مسند الإمام أحمد ج(٢/١٦٦). (٢) جزء من الحديث السابق في مسلم.

(٣) نونية ابن القيم ص١٧، ونص البيت في نونية ابن القيم، والمعروفة بالشافية الكافية:

والحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن

سبحانه وتعالى أعلم بأحوال عباده وما يصلحهم وعليم بمن يختار.

○ قوله: (ابْتَعَثَهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ بِهِ): يدعون إلى الله على بصيرة، فيدعون الناس إلى توحيد الله، يأمرونهم بالتوحيد ويحذرونهم من الشرك، وأمرهم بالقيام به، وأمرهم بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمرهم بالصبر على جهلة خلقه؛ لأن الداعية لابد أن يصيبه أذى.

○ قوله: (وَالصَّبْرِ عَلَى مَا نَابَهُمْ فِيهِ مِنْ جَهَلَةِ خَلْقِهِ): والرسل هم قدوة الناس أصيبوا بالأذى، فنوح ـ عليه السلام ـ صبر وصابر ودعى الله، ومكث يدعو إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً قال الله تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العَنكبوت: ١٤]، وهم يؤذونه ويسبونه ويضربونه، يقولون إنه مجنون فيقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع ذلك ما آمن معه إلا عدد قليل، ركبوا معه في السفينة، قال الله عنه أنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نُوح: ٥-٩]، فصبر وصابر ولم يضره، وكذلك تتابع الأنبياء والرسل، وقد عُرضوا على النبي ﷺ ليلة الإسراء قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ . . .**»(١).

فبعض الأنبياء ما تبعه إلا الرهط من ـ ثلاثة إلى عشرة ـ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما البخاري في كتاب الطب، باب من أكتوى أو كوى غيره ... رقم (٥٧٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل عل دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢٢٠)، واللفظ له.

وبعضهم ما تبعه إلا واحد

وبعضهم ما تبعه أحد، وبعضهم قُتِل، قال الله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٨٧] فزكريا عليه السلام قُتل، ويحيى عليه السلام قُتل ولم يضرهم ذلك؛ لأنهم أدوا ما عليهم وبلغوا رسالات ربهم.

ونبينا محمد ﷺ حصل له من الأذى الشيء الكثير، فوضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد[(١)]، وخنقه أبو جهل حتى كاد أن يقتله، حتى جاء أبو بكر فأزال يديه وقال رضي الله عنه: أتقتل رجلاً قال ربي الله؟[(٢)]، وتآمروا على قتله[(٣)].

ثم أمره ربه ﷻ بالهجرة، وحصل عليه صنوف من الأذى من المنافقين واليهود، آذوه وتكلموا فيه، وقيل له: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ[(٤)]!! إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله[(٥)]، ولما أخبره ابن مسعود عما قيل احمرّ وجهه حتى كان كالصرب، ثم قال: «...**رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[(٦)]، وفي يوم أحد جُرح عليه ـ الصلاة والسلام ـ وكسرت رباعيته وجرحت وجنتاه[(٧)]، وسقط في حفره،

(١) انظر البخاري، كتاب الطهارة، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر... رقم (٢٤٠).
(٢) انظر البخاري كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت متخذا خليلا... رقم (٣٦٧٨).
(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ج(٢/٤٦٨).
(٤) حديث: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه عن جابر بن عبدالله، في الإيمان وفضائل الصحابة، باب في ذكر الخوارج، رقم (١٧٢)، وهو في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، بغيرهذ اللفظ.
(٥) هذا من حديث ابن مسعود الآتي تخريجه.
(٦) حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وما قيل أثناء تقسيم الغنائم يوم حنين، متفق عليه أخرجه البخاري في أكثر من موضع منها: في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم ... رقم (٣١٥٠) ومسلم في كتاب الكسوف، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ... رقم(١٠٦٢).

وصاح الشيطان إن محمد قد قتل[(١)].

فلابد من الصبر على الأذى؛ لأن الداعية يقف ضد رغبات الناس ويمنعهم من أهوائهم وشهواتهم، فلابد أن يؤذوه بقول أو بفعل فإذا لم يصبر انقطع، فالله تعالى يسلّي نبيه ﷺ فيقول سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٠]، **فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين**، فالإمامة في الدين تنال بأمرين:

الأمر الأول: الصبر.

الأمر الثاني: اليقين.

والله تعالى بيّن صفات المؤمنين فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العَصر: ١-٣]، فلابد من الصبر، ولهذا أمرهم بالقيام بالحق، والصبر على ما أصابهم فيه من جهلة خلقه، وامتحنهم من المحن بصنوف وألوان، وما ذاك لهوانهم عليه، بل لكرامتهم عليه؛ ليعلي شأنهم ويرفع درجتهم، ويعظم أجرهم، ويجعلهم قدوة للناس وأسوة: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ﴾ [الأحزَاب: ٢١].

○ قوله: (وَامْتَحَنَهُمْ مِنَ الْمِحَنِ بِصُنُوفٍ، وَابْتَلَاهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ بِضُرُوبٍ) فالرسل وهم أشرف الخلق، ابتلوا بصنوف وضروب وأنواع من البلاء و المحن، هل هذا لهوانهم على الله؟

الجواب: لا؛ بل كما قال المؤلف رحمه الله: (تَكْرِيمًا لَهُمْ غَيْرَ

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب لبس البيضة، رقم (٢٩١١)، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم (١٧٩٠).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد ج(١/ ٢٨٧)، مستدرك الحاكم ج(٢/ ٣٢٤). غيرهما

تَذْلِيلٍ، وَتَشْرِيفًا غَيْرَ تَخْسِيرٍ)، فهو كرامة لهم؛ لأن العاقبة تكون حميدة، وفي أول الأمر تكون الشدة، والعاقبة حميدة، (تَكْرِيمًا لَهُمْ غَيْرَ تَذْلِيلٍ) فيرفع الله درجتهم ويعلي شأنهم، وليكونوا قدوة وأسوة.

○ قوله: (وَتَشْرِيفًا غَيْرَ تَخْسِيرٍ): فهذا تشريف لهم، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، الرسل يتفاوتون قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

○ قوله: (فَكَانَ أَرْفَعَهُمْ عِنْدَهُ دَرَجَةً أَجَدُّهُمْ إِمْضَاءً): وإنفاذاً للحق، ومسارعة إليه وتنفيذا له، (مَعَ شِدَّةِ الْمِحَنِ) فأرفعهم درجة الذي يمضي في الحق، ويجدّ في طلبه وفعله، ويسارع في تنفيذه، مع شدة المحن والبلاء والمصائب، ويصبر على الشدة والألم وما يكرهه ويمضي في سبيله، ويصبر ويصابر ولا يتأخر، ولهذا لما أقبل المشركون في غزوه أحد جمع النبي ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم، وشاورهم وقال: «**هل نقاتلهم في المدينة، أو نخرج إليهم؟**» فاختلف الناس، فبعضهم قال: نبقى في المدينة نقاتلهم ونحتمي، وبعضهم قال: نخرج إليهم، فكأن الذين قالوا نخرج كانوا أكثر، فأخذ ﷺ بقولهم ودخل لابسا لَأْمَتَه، فقال بعضهم: لعلنا أكرهنا رسول الله، وقالوا: يا رسول الله لو قاتلناهم في المدينة، فقال ﷺ: «**ما كان لنبي لبس لأمة الحرب أن يتأخر حتى يحكم الله بينه وبين عدوه**»، ثم خرج ـ عليه الصلاة السلام ـ، فهذا من الإمضاء في المحن.

○ قوله: (وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ زُلْفًا، وَأَحْسَنُهُمْ إِنْفَاذًا لِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ مَعَ عَظِيمِ الْبَلِيَّةِ): أقربهم إليه زلفى يعني: مكانة.

كأن حذف الواو أولى، فيكون: أقربهم إليه زلفى أحسنهم إنفاذاً لما أرسله به مع عظيم البلية، فأقربهم إلى الله مكانه أحسنهم تنفيذاً لما أمره به ربه، ولما أرسله به ربه مع عظيم البلية.

وأولو العزم الخمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، لهم القِدْحُ المعلى، وهم أفضل الناس ولهم المكانة العالية، فهم أقرب الناس زلفى.

وأفضل أولي العزم: الخليلان؛ إبراهيم ومحمد، وأفضل الخليلين: إمامنا ونبينا محمد ﷺ.

فأفضل الناس: نبينا محمد ﷺ، **ثم يليه**: جده إبراهيم، **ثم يليه**: موسى الكليم، **ثم** بقية أولو العزم: عيسى ونوح، **ثم** بقية الرسل **ثم** بقية الأنبياء، **ثم** الصديقون، **ثم** الشهداء **ثم** الصالحون المؤمنون الأمثل فالأمثل.



حث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه على الصبر

يقول الله عز وجل في محكم كتابه لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، **وقال له ولأتباعه رضوان الله عليهم:** ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]، **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ٩-١٢]، **وقال تعالى ذكره:** ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

الشَّرْحُ

هذه الآيات أمر الله فيها بالصبر والتحمل، والله تعالى وجه الخطاب إلى نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو خطاب له ولأمته وللدعاة من بعده قال ـ سبحانه ـ:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، هذه

تسلية للنبي ﷺ وأَمْرٌ له بالاقتداء بأولي العزم، وأولو العزم خمسة وهم المذكورون في آيتين:

• في آية الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

• والآية الثانية في سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، هؤلاء أولو العزم الخمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والله تعالى يأمر نبيه بأن يتأسى بأولي العزم قال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال له ولأتباعه رضوان الله عليهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]، فالله تعالى يبين أنه لابد من الابتلاء والامتحان ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ بدون امتحان وابتلاء؟ ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ﴾، ماذا حصل لهم؟ ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾ فمن شدة البلاء والامتحان استبطؤوا النصر، قال الله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] **وفيها قراءتان:**

القراءة الأولى: بالتشديد، أي: كُذّبوا من قبل إتباعهم.

القراءة الثانية: بالتخفيف ـ كما هي قراءة حفص ـ أي: كُذِبوامن قبل أنفسهم.

وأصح ما قيل في معنى الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: استبطؤوا النصر من شده البلاء، وظنوا أنهم قد كُذِبوا من قبل أنفسهم، وذلك من شدة المحن وصنوف البلاء، فالمعنى أنهم ظنوا أنهم قد كُذِبوا من قبل أنفسهم لا من قبل الله؛ لأنهم استبطؤوا النصر، ولهذا أنكرت عائشة ذلك لما سألها عروة، فقالت: «معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها» أخرجه البخاري[1].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ وهذه الآية نزلت في غزوة الأحزاب ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ وهم المشركون، والأحزاب الذين تحزبوا وتجمعوا على حرب النبي ﷺ والمسلمين، وأحاطوا بالمدينة، أبو سفيان ومن معه من القبائل الذين اجتمعوا فقال الله: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ وهم: الملائكة تحزبوا حتى همّ النبي ﷺ أن يصالحهم على ثلثي ثمار المدينة فأبى ذلك السعدان[2].

فالله تعالى أرسل عليهم ريحا تقلعهم وتقلع خيامهم وتزلزلهم وتلقي في قلوبهم الرعب، وأرسل عليهم جنودا لم يروها وهم: الملائكة، حتى انقلبوا خائبين.

قال الله مبينا الشدة التي أصابتهم: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم﴾ أي: الأحزاب: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يُوسُف: ٧] حديث رقم (٣٣٨٩).

(٢) السعدان هما: سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة سيد الخزرج، وسعد بن معاذ بن النعمان الأوسي سيد الأوس رضي الله عنهما. انظر: ترجمة لهما، اسد الغابة ج٢/٤٤١، ٤٦١.

وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزَاب: ١٠-١١] فأصابتهم شدة عظيمة وخوف عظيم، بعد ذلك جاء الفرج بعد الشدة، فالمنافقون قالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزَاب: ١٢]، أما المؤمنون فقالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزَاب: ٢٢].

قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العَنكبوت: ٢-٣].

بيّن سبحانه أنه لابد من الفتنة، **والفتنة هي**: الاختبار والامتحان ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ أي: بدون افتتان، فلابد من الافتتان، وبعد الفتنة والاختبار والامتحان تظهر النتيجة، فإذا خرج من الامتحان سليماً معافى دلّ على تقواه، مثل الذهب الذي يُحمى على النار فهذا يُسمى فتنة، فعندئذ يزول الزغل والزيف الذي لصق بالذهب، ويخرج صافيا نقيا خالصا ليس فيه غش، فكذلك الإنسان يُمتحن؛

فالمؤمن يظهر إيمانه ويخلص ويصفو ويقوى.

وضعيف الإيمان يرتدّ عن دينه إذا جاءت الفتنة فلا يصبر على البلاء، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحَجّ: ١١]، فليس كل الناس يقوى عند الفتنة إيمانه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾، فالنتيجة بعد الفتنة أن يتبين الصادق من الكاذب، الصادق في إيمانه وهو المؤمن: الذي تُطابق أقواله أفعاله،

وتُصَدِّقُ أفعالُه ما يدعيه وما يقوله وما يعتقده، والكاذب ضدّ ذلك.

فبين سبحانه أنه لابد من الابتلاء والامتحان، ولابد من الصبر والتحمل، وهذه هي سبيل الرسل وأتباعهم.

وليس طريق الدعوة إلى الله مفروش بالورود؛ إذ لو كان مفروشاً بالورود لدخل فيه كل أحد؛ لكن أمامه عقبات ونكبات ومحن وبلاء وأذيّة، فيمتحن في نفسه وماله وأهله وولده، وعليه أن يصبر؛ فقد امتحن الأنبياء والرسل، فهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ امتحنه الله:

١ ـ فأُلقي في النار، وصبر.

٢ ـ وامتحن بذبح ولده فنفذ أمر الله، فماذا كانت النتيجة بعد الابتلاء والامتحان؟ صار إماماً: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٤].

وكذلك الأئمة والصالحون، كالإمام أحمد بن حنبل فقد امتحن في فتنة في القول بخلق القرآن، وأوذي وسُحب وضُرب حتى أغمي عليه فصبر وصابر حتى أظهر الله الحق على يديه، فماذا كانت النتيجة؟ صار إماما.

فالإمام أحمد صار إماما بعد الامتحان والابتلاء، وأصبح إمامَ أهل السنة والجماعة، بعد الصبر على الحبس والضرب والإيذاء، فصبر وكانت له رخصة فلم يتأول؛ خشية أن يُضل الناس.





الرسل وأتباعهم معرضون للمحن

فَلَمْ يُخْلِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَدًا مِنْ مُكْرَمِي رُسُلِهِ، وَمُقَرَّبِي أَوْلِيَائِهِ مِنْ مِحْنَةٍ فِي عَاجِلَةٍ دُونَ آجِلَةٍ؛ لِيَسْتَوْجِبَ بِصَبْرِهِ عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْكَرَامَةِ مَا أَعَدَّ لَهُ، وَمِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ مَا كَتَبَهُ لَهُ، ثُمَّ جَعَلَ تَعَالَى، جَلَّ وَعَلَا ذِكْرُهُ، عُلَمَاءَ كُلِّ أُمَّةِ نَبِيٍّ ابْتَعَثَهُ مِنْهُمْ وُرَّاثَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْقُوَّامَ بِالدِّينِ بَعْدَ اخْتِرَامِهِ إِلَيْهِ وَقَبْضِهِ، الذَّابِّينَ عَنْ عُرَاهُ وَأَسْبَابِهِ، وَالْحَامِينَ عَنْ أَعْلَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَالنَّاصِبِينَ دُونَهُ لِمَنْ بَغَاهُ وَحَادَّهُ، الدَّافِعِينَ عَنْهُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَضَلَالَهُ.

فَضَّلَهُمْ بِشَرَفِ الْعِلْمِ، وَكَرَّمَهُمْ بِوَقَارِ الْحِلْمِ، وَجَعَلَهُمْ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ أَعْلَامًا، وَلِلْإِسْلَامِ وَالْهُدَى مَنَارًا، وَلِلْخَلْقِ قَادَةً، وَلِلْعِبَادِ أَئِمَّةً وَسَادَةً، إِلَيْهِمْ مَفْزَعُهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَبِهِمُ اسْتِغَاثَتُهُمْ عِنْدَ النَّائِبَةِ، لَا يُثْنِيهُمْ عِنْدَ التَّعَطُّفِ وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَا هَمَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يُوَلُّونَ، وَلَا تَصُدُّهُمْ عَنِ الرِّقَّةِ عَلَيْهِمْ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ قُبْحُ مَا إِلَيْهِ، مَا يَأْتُونَ مُحَرَّمًا مَنَعَهُمْ طَلَبُ جَزِيلِ ثَوَابِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتَوَخِّيًا طَلَبَ رِضَا اللَّهِ فِي الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ.

الشَّرْحُ

قول المؤلف رحمه الله: (فَلَمْ يُخْلِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَدًا مِنْ مُكْرَمِي رُسُلِهِ، وَمُقَرَّبِي أَوْلِيَائِهِ مِنْ مِحْنَةٍ) المعنى: أن الأنبياء والرسل

امتُحنوا، فليس أحد هناك من الرسل الذين كرمهم الله إلا امتحن، والأولياء بعدهم كلهم امتحنوا، فلا أحد يسلم من المحنة، إذ سنة الله الامتحان للرسل والأنبياء والأولياء المقربيين.

○ قوله: (فِي عَاجِلَةٍ دُونَ آجِلَةٍ) يعني: ما خلا أحد منهم إلا وأصابته محنة، فالرسل المكرمون وهم أفضل الناس، ثم المقربون من الأولياء، كل واحد منهم امتحن في عاجلة دون آجلة، **لماذا امتحنه الله؟**

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لِيَسْتَوْجِبَ بِصَبْرِهِ عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْكَرَامَةِ مَا أَعَدَّ لَهُ) هذه الحكمة في الابتلاء أنه إذا صبر نال المنزلة العظيمة، والكرامة التي أعدها الله له، ولهذا فالأنبياء أرفع الناس منزلة في الجنة؛ فالنبي ﷺ له الوسيلة وهي أعلى بيت ومنزلة في الجنة، وسقفها عرش الرحمن، لذلك أُمِرْنا بعد الأذان أن نقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١].

فائدة: بعض العامة يزيد يقول: (آت محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة)، و(الدرجة الرفيعة) زيادة، لم ترد.

كما أن بعض العامة يزيد في الإستفتاح يقول: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ**»[٢] فيقول: (ولا معبود سواك). وهذا غلط؛ فإن «**لا إله غيرك**» هي نفسها (لا

(١) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله، في كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم (٦١٤).

(٢) أخرجه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري، أبوداود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بـ(سبحانك اللهم وبحمدك، رقم (٧٧٥)، والترمذي في كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، رقم (٢٤٢)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب افتتاح الصلاة، رقم (٨٠٤)، =

معبود سواك)، الإله هو المعبود والزيادة لا أصل لها.

قال: (ثُمَّ جَعَلَ تَعَالَى، جَلَّ وَعَلَا ذِكْرُهُ، عُلَمَاءَ كُلِّ أُمَّةِ نَبِيٍّ ابْتَعَثَهُ مِنْهُمْ وُرَّاثَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْقُوَّامَ بِالدِّينِ بَعْدَ اخْتِرَامِهِ إِلَيْهِ وَقَبْضِهِ) جعل الله سبحانه في كل أمة علماء يرثون الأنبياء، كل نبي يرثه العلماء من بعده، ويقومون بالدعوة ويحملونها.

❍ قوله: (الذَّابِّينَ عَنْ عُرَاهُ وَأَسْبَابِهِ، وَالْحَامِينَ عَنْ أَعْلَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَالنَّاصِبِينَ دُونَهُ لِمَنْ بَغَاهُ وَحَادَّهُ، الدَّافِعِينَ عَنْهُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَضَلَالَهُ): العلماء بعد الأنبياء هم الذين يرثون علم الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، ولهذا في الحديث: «... **وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[(١)].

فالعلماء ورّاث الأنبياء وهم الذين يقومون بالدين بعد موتهم، وهم الذين يذبون عن الدين ويحمونه ويدافعون عنه وينصبون العداوة لمن عادى وطعن وبغى على هذا الدين، ويدفعون كيد الشيطان وضلاله.

= والنسائي في كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة والقراءة، رقم (٩٠٠). وصححه الألباني.

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم(٣٦٤١)، والترمذي في كتاب أبواب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في كتاب في الإيمان وفضائل الصحالة، رقم (٢٢٣)، والإمام أحمد ج(٣٦/٤٦)، رقم (٢١٧١٥).قال في التلخيص الحبير ط العلمية (٣/٣٥٧) حديث: «العلماء ورثة الأنبياء» أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان عن حديث أبي الدرداء وضعفه الدارقطني في العلل وهو مضطرب الإسناد قاله المنذري وقد ذكره البخاري في صحيحه بغير إسناد.

○ قوله: (فَضَّلَهُمْ بِشَرَفِ الْعِلْمِ، وَكَرَّمَهُمْ بِوَقَارِ الْحِلْمِ) هذا من تفضيل الله فهم شرفوا بالعلم.

○ قوله: (وَجَعَلَهُمْ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ أَعْلَامًا، وَلِلْإِسْلَامِ وَالْهُدَى مَنَارًا) يعني: جعلهم أُسوة للناس كالأعلام، والأعلام هي الجبال يراها كل أحد.

○ قوله: (وَلِلْخَلْقِ قَادَةًوَلِلْعِبَادِ أَئِمَّةً وَسَادَةً) أي: يقودون الناس للحق، سادة للناس، وأئمة يقتدى بهم.

○ قوله: (إِلَيْهِمْ مَفْزَعُهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ) أي: عندما يحصل للناس حاجة فإنهم يفزعون إلى أهل العلم ليقضون حاجاتهم.

○ قوله: (وَبِهِمُ اسْتِغَاثَتُهُمْ عِنْدَ النَّائِبَةِ) الإستغاثة هي: دعاء الملهوف والمكروب، والاستغاثة بالحي الحاضر لا بأس بها كاستغاثة الغريق عندما يقول للسباح: أغثني، فلا بأس به، إنما الممنوع: الإستغاثة بالميت أو بالغائب.

والمعنى أنهم يستغيثون بالعلماء في قضاء حوائجهم التي يقدرون عليها، وليس المراد الاستغاثة بهم بعد الموت. أو فيما لا يقدرون عليه.

○ قوله: (لَا يُثْنِيهُمْ عِنْدَ التَّعَطُّفِ وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَا هَمَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يُوَلُّونَ) يعني: كونهم يحنّون عليهم بقلوبهم، ويعطفون عليهم، لا يثنيهم عن هذا سوء ما هم في أنفسهم يولون، أي: إذا كان الناس يعلمون من أنفسهم ما يعملون من السيئات والأعمال، لا يمنعهم هذا من كونهم يسألون العلماء، ويطلبون عطفهم والتحنن عليهم.

❍ قوله: (وَلَا تَصُدُّهُمْ عَنِ الرِّقَّةِ عَلَيْهِمْ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ قُبْحُ مَا إِلَيْهِ، مَا يَأْتُونَ مُحَرَّمًا) يعني: هؤلاء الناس وإن كان بعضهم يعمل المحرمات، لا يمنع من كونهم يلجأون لأهل العلم، ويطلبون منهم الرأفة والرحمة، وحل المشاكل وقضاء الحوائج.

❍ قوله: (مَنَعَهُمْ طَلَبُ جَزِيلِ ثَوَابِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتَوَخِّيًا طَلَبَ رِضَا اللَّهِ فِي الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ) وذلك لأن العلماء يحتسبون ذلك عند الله، ويطلبون جزيل الثواب عند الله، ويتوخون رضى الله فيما يأخذونه ويأتونه مما يكون لهم فضل على عباد الله.



تكريم الله للأنبياء وأتباعهم

ثُمَّ جعَلَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَذِكْرُهُ، عُلَمَاءَ أُمَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَهَا فِيمَا كَانَ؛ قَسَمَ لَهُمْ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالدَّرَجاتِ وَالْمَرَاتِبِ وَالْكَرَامَاتِ فَشَمِلَ، وَأَجْزَلَ لَهُمْ فِيهِ حَظًّا وَنَصِيبًا، مَعَ ابْتِلَاءِ اللَّهِ أَفَاضِلَهَا بِمَنَافِعِهَا، وَامْتَحَانِهِ خِيَارَهَا بِشِرَارِهَا، وَرُفَعَائِهَا بِسِفْلِهَا وَضُعَاتِهَا، فَلَمْ يَكُنْ يُثْنِيهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مِنْهُمْ يُبْتَلُونَ، وَلَا كَانَ يَصُدُّهُمْ مَا فِي اللَّهِ مِنْهُمْ يَلْقَوْنَ عَنِ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ، بَلْ كَانُوا بِعِلْمِهِمْ عَلَى جَهْلِهِمْ يَعُودُونَ، وَبِحِلْمِهِمْ لِسَفَهِهِمْ يَتَعَمَّدُونَ، وَبِفَضْلِهِمْ عَلَى نَقْصِهِمْ يَأْخُذُونَ، بَلْ كَانَ لَا يَرْضَى كَبِيرٌ مِنْهُمْ مَا أَزْلَفَهُ لِنَفْسِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَادَّخَرَ مِنْهُ مِنْ كَرِيمِ الذَّخَائِرِ لَدَيْهِ قَبْلَ مَمَاتِهِ، حَتَّى تَبْقَى لِمَنْ بَعْدَهُ آثَارًا عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً، وَلَهُمْ إِلَى الرَّشَادِ هَادِيَةً، جَزَاهُمُ اللَّهُ عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِمْ أَفْضَلَ مَا جَزَى عَالِمَ أُمَّةٍ عَنْهُمْ، وَحَبَاهُمْ مِنَ الثَّوَابِ أَجْزَلَ ثَوَابٍ، وَجَعَلَنَا مِمَّنْ قَسَمَ لَهُ مِنْ صَالِحِ مَا قَسَمَ لَهُمْ، وَأَلْحَقَنَا بِمَنَازِلِهِمْ، وَكَرَّمَنَا بِحُبِّهِمْ وَمَعْرِفَةِ حُقُوقِهِمْ، وَأَعَاذَنَا وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مِنْ مُرْدِيَاتِ الْأَهْوَاءِ، وَمُضِلَّاتِ الْآرَاءِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الشَّرْحُ

○ قوله: (ثُمَّ جعَلَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَذِكْرُهُ، عُلَمَاءَ أُمَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَهَا) لما كان العلماء ورثة الأنبياء،

فعلماء هذه الأمة بالخصوص أفضل من علماء الأمم التي خلت.

○ قوله: (قَسَمَ لَهُمْ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ وَالْمَرَاتِبِ وَالْكَرَامَاتِ فَشَمِلَ، وَأَجْزَلَ لَهُمْ فِيهِ حَظًّا وَنَصِيبًا)منازلهم وكراماتهم أفضل الكرامات، قسم لهم أفضل ما يقسمه لعباده المؤمنين، وجعل لهم من الأجر والفضل حظا كبيرا ونصيباً، مع أن الله ابتلى الأخيار بالأشرار، والمؤمنين بالكفار، وابتلى الأفاضل بالمنافقين. ولهذا قال: (مَعَ ابْتِلَاءِ اللَّهِ أَفَاضِلَهَا بِمَنَافِعِهَا، وَامْتَحَانِهِ خِيَارَهَا بِشِرَارِهَا، وَرُفَعَائِهَا بِسِفْلِهَا وَضُعَاتِهَا).

فالله تعالى ابتلى وله الحكمة، لكن هذا لا يثنيهم، ولا يصدهم عن دعوتهم إلى الله، وإسداء الخير للناس والنصح، ولهذا قال المؤلف: (وَلَا كَانَ يَصُدُّهُمْ مَا فِي اللَّهِ مِنْهُمْ يَلْقَوْنَ عَنِ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِم) فهذا الابتلاء والامتحان لا يمنعهم من النصيحة لعباد الله؛ لأنهم يعملون بعلمهم ويتحمّلون الجاهل، ويتفضلون على الناقص (وَبِحِلْمِهِمْ لِسَفَهِهِمْ يَتَعَمَّدُونَ) يَحْلمون على الجاهل والسفيه، ويعلّمون الجاهل ويتفضّلون على الناقص، ولهذا قال المؤلف: (وَبِفَضْلِهِمْ عَلَى نَقْصِهِمْ يَأْخُذُونَ، بَلْ كَانَ لَا يَرْضَى كَبِيرٌ مِنْهُمْ مَا أَزْلَفَهُ لِنَفْسِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ فَضْلٍ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَادَّخَرَ مِنْهُ مِنْ كَرِيمِ الذَّخَائِرِ لَدَيْهِ قَبْلَ مَمَاتِه) يعني: أن الكبير والعالم لا يثنيه ما أعد الله له من الكرامة، عن الإفضال على عباد الله في أيام حياته، وكذلك لا يثنيه ما ادخر الله له من ذخائر حتى يبقى له أثر على من بعده في تعليم ونصح وتحمل الناس وإطعام جائعهم، كل هذه آثار باقية، ولهم إلى الرشاد هادية.

○ قوله: (جَزَاهُمُ اللَّهُ عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِمْ أَفْضَلَ مَا جَزَى عَالِمَ أُمَّةٍ عَنْهُمْ) هذا دعاء لهم، يدعو لهم بأن يجازيهم الله بأفضل الجزاء، وحباهم من الثواب أجزل ثواب، وجعلنا ممن قسم له من صالح ما قسم لهم،يعني جعلنا منهم واشركنا معهم، وقسم لنا نصيباً مما قسم لهم، وألحقنا بمنازلهم وكرمنا بحبهم ومعرفة حقوقهم،وأعاذنا والمسلمين جميعاً من مرديات الأهواء ومضلات الآراء (مُرْدِيَاتِ الْأَهْوَاءِ) يعني: البدع التي تردي الإنسان، والآراء التي تضله إنه سميع الدعاء.

۞ مذاهب الناس في مسمى الإيمان:

مسمى الإيمان عند أهل الحق من أهل السنة والجماعة، ما دلت عليه النصوص، أنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة ويقل بالعصيان.

وهناك طوائف كالمرجئة مسمى الإيمان عندهم مختلف:

فمسمى الإيمان عند الجهمية هو معرفة الرب بالقلب، والكفر هو جهل الرب بالقلب، **وهذا أفسد تعريف،** وعلى ذلك يكون إبليس مؤمن؛ لأنه يعرف الرب بقلبه، وفرعون و اليهود مؤمنون، وأبو طالب مؤمن؛ لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم، وهذا من أبطل الباطل.

ثم يليه قول الكرامية الذين يقولون: إن الإيمان هو الإقرار باللسان، ولو كان مكذباً بقلبه، فيكون من نطق بلسانه مؤمن كامل الإيمان، وإذا كان مكذباً بقلبه فهو مخلد في النار فيلزم على قولهم الجمع بين النقيضين، مؤمن كامل الإيمان مخلد بالنار!

ويليه قول الأشاعرة: أن الإيمان تصديق بالقلب.

ثم قول مرجئة الفقهاء: أن الإيمان شيئان تصديق بالقلب وإقرار باللسان؛ وهم طائفة من أهل السنة، فهو مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه، وعليه جمهور أصحابه أن الإيمان شيئان: تصديق بالقلب وإقرار باللسان، والأعمال ليست من الإيمان لكنها مطلوبة، فالواجبات واجبات والمحرمات محرمات؛ لكنهم لا يسمونها إيمان، يسمونها تقوى وبر وهدى.

أما أهل السنة والجماعة فيسمونه إيمان وهدى وبر وتقوى.



ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مِنْ بَعْدِ مُضِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِسَبِيلِهِ حَوَادِثُ فِي كُلِّ دَهْرٍ تَحْدُثُ، وَنَوَازِلُ فِي كُلِّ عَصْرٍ تَنْزِلُ، يَفْزَعُ فِيهَا الْجَاهِلُ إِلَى الْعَالِمِ، فَيَكْشِفُ فِيهَا الْعَالِمُ سَدَفَ الظَّلَامِ عَنِ الْجَاهِلِ بِالْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، إِمَّا مِنْ أَثَرٍ وَإِمَّا مِنْ نَظَرٍ، فَكَانَ مِنْ قَدِيمِ الْحَادِثَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَوَادِثِ الَّتِي تَنَازَعَتْ فِيهِ أُمَّتُهُ، وَاخْتِلَافُهَا فِي أَفْضَلِهِمْ بَعْدَهُ، وَأَحَقِّهِمْ بِالْإِمَامَةِ، وَأَوْلَاهُمْ.

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي أَعْمَالِ الْعِبَادِ طَاعَتِهَا وَمَعَاصِيهَا، وَهَلْ هِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ أَمِ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْمُبْهَمِ مُفَوَّضٌ؟.

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ هَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ أَمْ هُوَ قَوْلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ وَهَلْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ أَمْ لَا زِيَادَةَ لَهُ وَلَا نُقْصَانَ؟.

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

ثُمَّ رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي أَلْفَاظِهِمْ بِالْقُرْآنِ.

ثُمَّ حَدَثَ فِي دَهْرِنَا هَذَا حَمَاقَاتٌ خَاضَ فِيهَا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْغَبَاءِ وَنَوْكَى الْأُمَّةِ وَالرَّعَاعُ، يُتْعِبُ إِحْصَاؤُهَا، وَيُمَلُّ تَعْدَادُهَا، فِيهَا الْقَوْلُ فِي اسْمِ الشَّيْءِ أَهُوَ هُوَ أَمْ هُوَ غَيْرُهُ؟ وَنَحْنُ نُبَيِّنُ الصَّوَابَ لَدَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

الشَّرْحُ

لا يزال المؤلف رحمه الله يبين فضل العلماء، وأن العلماء هم الذين يرجع إليهم الناس في الحوادث التي تنزل، والنوازل التي تنزل بالأمة، ويفزع فيها الناس إلى العلماء الذين آتاهم الله العلم،

فالعلماء يكشفون ما أشكل على الناس ويزيلون الغبش والظلام، ولهذا قال: (فَيَكْشِفُ فِيهَا الْعَالِمُ سَدَفَ الظَّلَامِ) يقال: سدف الليل وسدف الدجى، والسدف: الظلمة[1].

- **بماذا يكشفونه؟**

الجواب: (بِالْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، إِمَّا مِنْ أَثَرٍ وَإِمَّا مِنْ نَظَرٍ) أي: من أدلة نقلية أو أدلة عقلية.

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن هناك أمور وحوادث تنازع الناس فيها واختلفوا، فلابد أن نبين الصواب.

مثل: اختلافهم في الإمامة بعد النبي ﷺ، من أحق الناس بالإمامة، ومن أولاهم بالخلافة.

وكذلك من المسائل: القول في أعمال العباد، أهي بقضاء الله وقدره، أم الأمر فيها مبهم ومفوض؟

ومن المسائل: الإيمان هل هو قول وعمل،أم هو قول بلا عمل، وهل يزيد وينقص؟

ومن المسائل التي جَدَّت: القول في القرآن هل هو مخلوق؟أم غير مخلوق؟

وكذلك: القول في ألفاظ الناس في القرآن هل هو مخلوق؟ أم غير مخلوق؟

وكذلك مسألة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، هل يرونه أم لا يرونه؟

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٩/ ١٤٦) والقاموس المحيط، الفيروز آبادي (٨١٨).

ثم قال: (ثُمَّ حَدَثَ فِي دَهْرِنَا هَذَا حَمَاقَاتٌ خَاضَ فِيهَا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْغَبَاءِ وَنَوْكَى الْأُمَّةِ وَالرَّعَاعُ، يُتْعِبُ إِحْصَاؤُهَا، وَيُمَلُّ تَعْدَادُهَا):

قوله: (نَوْكَى الْأُمَّةِ) يعني: الحمقى[1].

وقوله: (الرَّعَاعُ) يعني: عامة الناس ودهماؤهم[2].

خاضوا في أمور (يُتْعِبُ إِحْصَاؤُهَا، وَيُمَلُّ تَعْدَادُهَا) تعداد: بفتح التاء، وهذه **قاعدة مهمة** وهي: ما كان على وزن: تفعال، مثل: تعداد وتكرار وترداد، فالأصل فيها فتح التاء، إلا مصدران هما: تلقاء وتبيان، فهي بكسر التاء.

○ وقوله: (فِيهَا الْقَوْلُ فِي اسْمِ الشَّيْءِ أَهُوَ هُوَ أَمْ هُوَ غَيْرُهُ؟) يعني: القول في الاسم هل هو المسمى أم غير المسمى؟ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَحْنُ نُبَيِّنُ الصَّوَابَ لَدَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ).



(١) قال ابن منظور: "الأنوك: الأحمق، وجمعه نوكى" لسان العرب، (١٠/ ٥٠١).

(٢) انظر: لسان العرب (٨/ ١٢٨) القاموس المحيط (٧٢٢).

الْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِالْقَوْلِ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ؛ إِذْ كَانَ مِنْ مَعَانِي تَوْحِيدِهِ، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُ: كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَيْفَ كُتِبَ وَحَيْثُ تُلِيَ وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ قُرِئَ، فِي السَّمَاءِ وُجِدَ، وَفِي الْأَرْضِ حَيْثُ حُفِظَ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَانَ مَكْتُوبًا، وَفِي أَلْوَاحِ صِبْيَانِ الْكَتَاتِيبِ مَرْسُومًا، فِي حَجَرٍ نُقِشَ، أَوْ فِي وَرَقٍ خُطَّ، أَوْ فِي الْقَلْبِ حُفِظَ، وَبِلِسَانٍ لُفِظَ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ أَوِ ادَّعَى أَنَّ قُرْآنًا فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ سِوَى الْقُرْآنِ الَّذِي نَتْلُوهُ بِأَلْسِنَتِنَا وَنَكْتُبُهُ فِي مَصَاحِفِنَا، أَوِ اعْتَقَدَ غَيْرَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، أَوْ أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ قَالَهُ بِلِسَانِهِ دَائِنًا بِهِ، فَهُوَ بِاللَّهِ كَافِرٌ، حَلَالُ الدَّمِ، بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ، بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. فَأَخْبَرَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَنَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَكْتُوبٌ، وَأَنَّهُ مِنْ لِسَانِ مُحَمَّدٍ مَسْمُوعٌ، وَهُوَ قُرْآنٌ وَاحِدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ مَسْمُوعٌ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَكْتُوبٌ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الصُّدُورِ مَحْفُوظٌ، وَبِأَلْسُنِ الشُّيُوخِ وَالشَّبَابِ مَتْلُوٌّ.

الشَّرْحُ

هذه المسألة الأولى في القرآن، وأنه كلام الله، وما أقره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الصواب الذي دلت عليه النصوص، وهو معتقد أهل

السنة والجماعة، أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه، وأن القرآن لفظا ومعنًى وحروفاً وسوراً وآياتٍ: كلام الله، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، كما أقر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ـ وهي على صغر حجمها عقيدة عظيمة، ينبغي على الطالب أن يحفظها ـ قال: [وكلام الله هو الحروف والمعاني، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف].

قال المؤلف: (فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِالْقَوْلِ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ) أنزله الله ـ سبحانه وتعالى ـ على نبينا محمد ﷺ بواسطة جبرائيل عليه السلام، وجبرائيل سمع القرآن من الله، تكلم الله به بحرف وصوت، وجبرائيل نزل به على قلب محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥].

ـ وسبب بداءة المؤلف بالقول بأن القرآن كلام الله وتنزيله: (إِذْ كَانَ مِنْ مَعَانِي تَوْحِيدِهِ) فمن معاني توحيد الله ـ عز وجل ـ أن يعتقد المسلم أن القرآن كلام الله، فالموحد يؤمن بأسمائه وصفاته وأفعاله، والقرآن كلام الله، صفة من صفاته، منزل غير مخلوق.

والمعنى: أن القرآن كلام الله كيفما تصرف، إذا قرأه القارئ فالقرآن كلام الله مقروء له، وإذا سمعه السامع فالقرآن مسموع له، وإن حفظه الحافظ فكلام الله محفوظ له، إن كتبه الكاتب فكلام الله مكتوب له، فالقرآن كلام الله مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان.

● **مسألة: المصحف فيه كلام الله وكلام غيره، فلا يحلف بالمصحف؛ لأن فيه الورق والحبر، إنما يحلف بكلام الله.**

▪ **الجواب:** فالمصحف فيه كلام الله فإذا حفظه الحافظ فكلام الله محفوظ له، وإذا سمعه السامع فكلام الله مسموع له، وإذا قرأه القارئ فكلام الله مقروء له، وإذا كتبه الكاتب فكلام الله مكتوب له، يعني كيفما تصرف فهو كلام الله، هذا هو الصواب الذي دلت عليه النصوص، والذي قرره الأئمة والعلماء، كالإمام أحمد وغيره من الأئمة الأربعة، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وغيرهم من أهل العلم، كما قرره العلماء في مؤلفاتهم، وفي عقائدهم، مثل العقيدة الواسطية، والطحاوية وفي غيرهما من كتب السنة، ولهذا قال المؤلف؛ أن الصواب أنه كلام الله غير مخلوق (كَيْفَ كُتِبَ)، إذا كتب فهو كلام الله مكتوب، (وَحَيْثُ تُلِيَ) إذا تلي فكلام الله متلوْ، (وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ قُرِئَ)، في السماء وجد فهو كلام الله، وفي الأرض حيث حُفظ فهو كلام الله محفوظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوباً، وفي ألواح صبيان الكتاكيب مرسوماً، وفي الحجر اذا نقشته فهو كلام الله، وإذا كتبته في ورق فهو كلام الله، وفي القلب حُفظ فهو كلام الله، بلسان لُفظ فكلام الله ملفوظ.

○ قوله: (فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ أَوِ ادَّعَى أَنَّ قُرْآنًا فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ سِوَى الْقُرْآنِ الَّذِي نَتْلُوهُ بِأَلْسِنَتِنَا وَنَكْتُبُهُ فِي مَصَاحِفِنَا، أَوِ اعْتَقَدَ غَيْرَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، أَوْ أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ قَالَهُ بِلِسَانِهِ دَائِنًا بِهِ) دائن به يعني: يدين ويعتقد به ربه، (فَهُوَ بِاللَّهِ كَافِرٌ، حَلَالُ الدَّمِ، بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ).

المؤلف رحمه الله يرى أن من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر، وهذا هو قول الأئمة من **أهل السنة والجماعة**.

والذين يقولون: القرآن مخلوق هم **المعتزلة**، فهم يقولون: كلام الله مخلوق لفظه ومعناه.

و**الأشاعرة** يقولون: كلام الله هو المعنى دون اللفظ، فالألفاظ والحروف مخلوقة، والمعاني هي كلام الله.

فعند الأشاعرة أن الكلام اسم للمعنى فقط؛ أما اللفظ والحروف فليست من كلام الله.

ولهذا يكون مذهب الأشاعرة نصف مذهب المعتزلة:

فالمعتزلة يقولون: الكلام مكون من لفظ ومعنى مثل ما يقوله أهل السنة؛ لكن يقول المعتزلة: مخلوق.

والأشاعرة يقولون: الكلام هو المعنى ليس بمخلوق، واللفظ مخلوق.

ولهذا يقول الأشاعرة: إن الله لا يتكلم بحرف وصوت يسمع، فالكلام معنى قائم في نفسه، مثل: العلم فلا يسمع.

كيف سمعه جبريل؟

قالوا: ما سمعه جبريل من الله ولا كلمه.

كيف ذلك؟

فكانوا ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: قالوا: الله اضطر جبريل اضطرارا ففهم المعنى القائم في نفسه فعبّر به، هذا القرآن عبّر به جبريل عليه السلام.

الطائفة الثانية: قالوا: الذي عبر به محمد ﷺ.

الطائفة الثالثة: قالوا: جبريل أخذ من اللوح المحفوظ، والله لم يتكلم بكلمة، ليس ثَمّ لفظ ولا حرف ولا صوت.

ـ المسائل المبنية على قول الأشاعرة:

١ ـ لهذا يقولون: المصحف ليس كلام الله، إنما هو عبارة عن كلام الله ـ فيه الحروف والألفاظ ـ وهذا يتأدى به كلام الله، فيسمى كلام الله مجازا.

فهم يقولون كلام الله؛ ولكن عند المناقشة يقولون: نحن نقول إنه: كلام الله على سبيل المجاز، فنسميه كلام الله؛ لأنه تأدى به كلام الله، وإلا فليس هو بكلام الله حقيقة.

٢ ـ **ولهذا فإن بعض غُلاتهم** لا مانع عنده أن يطأ الإنسانُ المصحف برجله لأنه ليس كلام الله!

هذا مذهب الأشاعرة، الذين هم أقرب الطوائف لأهل السنة.

والمؤلف رحمه الله قال كما قال أئمة العلم: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، **والمعنى: أنه يكفّر على العموم، أما الشخص المعيّن** فلا يكفّر، حتى تقوم عليه الحجة، فلان ابن فلان قال: القرآن مخلوق، لابد أن تقام عليه الحجة وتُكشف الشبهة.

ثم استدل المؤلف رحمه الله بما يلي:

١ ـ قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [البُرُوج: ٢١].

٢ ـ وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: ٦].

فأخبر أنه مسموع بالآذان من النبي ﷺ، ومكتوب في اللوح المحفوظ.

○ قوله: (فَأَخْبَرَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَنَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَكْتُوبٌ، وَأَنَّهُ مِنْ لِسَانِ مُحَمَّدٍ مَسْمُوعٌ، وَهُوَ قُرْآنٌ وَاحِدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ مَسْمُوعٌ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَكْتُوبٌ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الصُّدُورِ مَحْفُوظٌ، وَبِأَلْسُنِ الشُّيُوخِ وَالشَّبَابِ مَتْلُوٌّ)

بيّن المؤلف رحمه الله **وجه الدلالة**: من هذه الآيات أنه في اللوح المحفوظ مكتوب، وأنه من لسان محمد ﷺ مسموع.

فأراد المؤلف بيان أن القرآن محفوظ، سواء:

١ ـ من محمد مسموع.

٢ ـ في اللوح المحفوظ مكتوب.

٣ ـ في الصدور محفوظ.

٤ ـ في ألسنة الشيوخ والشباب متلو،فتتلوه ألسنة الشيوخ والشباب كما قال القحطاني في نونيته:

إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان[1]



(١) نونية القحطاني رحمه الله ص (٥٣).

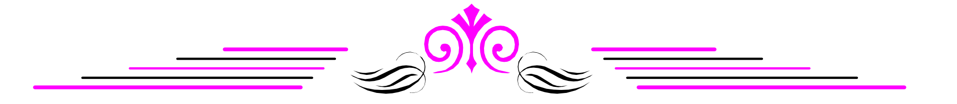
موقف أبي جعفر ممن تقول عليه

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَمَنْ رَوَى عَنَّا، أَوْ حَكَى عَنَّا، أَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا، فَادَّعَى أَنَّا قُلْنَا غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ، وَلَعْنَةُ اللَّاعِنَيْنِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا قَبِلَ اللَّهُ لَهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَهَتَكَ سِتْرَهُ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ، وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ.



الطبري رحمه الله دعا على من روى عنه أو حكى عنه أو تقول عليه (فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ، وَلَعْنَةُ اللَّاعِنَيْنِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا قَبِلَ اللَّهُ لَهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا) **الصرف**: قبل التوبة، **وقيل**: النافلة، والعدل، الفدية، **وقيل**: الفريضة.

لو أن المؤلف رحمه الله دعا له بالهداية لكان أولى لعل الله أن يهديه للصواب.



جعفر الصادق والقول بخلق القرآن

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا مَعْبَدٌ أَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنِ الْقُرْآنِ: مَخْلُوقٌ أَوْ خَالِقٌ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

الشَّرْح

هذا القول لجعفر بن محمد الصادق، وهو من أئمة أهل البيت، وهو معروف بالصلاح والعدالة، لما قيل له: (إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنِ الْقُرْآنِ: مَخْلُوقٌ أَوْ خَالِقٌ؟) قال رَحِمَهُ اللهُ: (إِنَّهُ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ) وهذا ثابت عن جعفر الصادق فقد أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد»، والحديث له طرق يشد بعضها بعضا.

وهذا هو الحق أن القرآن كلام الله، والله هو الخالق والقرآن ليس بخالق ولا مخلوق؛ بل كلام الله، صفة من صفات الله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص(٤٤)، في كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد ج (١/ ١٥١، ١٥٢، ١٥٣)، وله في كتاب الرد على الجهمية ج (٢/ ٤٨٢)، والدارمي في كتاب الرد على الحهمية ص ١٨٩، وفي شرح اصول اعتقاد أهل السنة للالكائ ج (٢/ ٢٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات ج (٢/ ٦٠٢)، وفي الاعتقاد ص ١٠٧، وقال عقيبه : وكذلك رواه سويد بن سعيد، عن معاوية بن عمار، عن جعفر الصادق، وكذلك رواه قيس بن الربيع، عن جعفر، فهو عن جعفر صحيح مشهور.

● **مسألة: ما الآثار المترتبة على الخلاف بين أهل السنة وغيرهم في مسألة خلق القرآن؟**

▪ **الجواب: أن أهل السنة يقولون:** القرآن كلام الله صفة من صفاته، منزل غير مخلوق.

والمعتزلة يقولون: الكلام مخلوق، فيقولون: إن الله خلق الكلام في الهواء، أو في الشجرة، وأن الشجرة هي التي كلمت موسى، وقالت: يا موسى إني أنا الله رب العالمين: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ [القَصَص: ٣٠]، فهؤلاء جعلوا صفة الله مخلوقة، وهذا كفر وضلالة.

والأشاعرة يقولون: الكلام هو المعنى، والحروف والألفاظ مخلوقة ليست من كلام الله .**ما هو دليلكم على هذا؟**

قالوا: دليلنا بيت للأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

- **وجواب أهل السنة عليهم:**

أن هذا البيت ينسب إلى الأخطل، وهو بيت مصنوع لا يوجد في ديوانه ولو وجد في ديوانه فهو نصراني، والنصارى لا يحتجون بقولهم بل إن النصارى ضلوا في معنى الكلام، النصارى يقولون إن عيسى نفس كلمة الله أي جزء من الله، والمسلمون يقولون أن عيسى مخلوق بالكلمة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٩]، عيسى مخلوق بالكلمة وليس هو الكلمة.

إذن: النصارى ضلوا في معنى الكلام، فكيف يستدلون بقول الأخطل في معنى الكلام؟

يستدلون بقول نصراني ضلّ في معنى الكلام على معنى الكلام؟ أيترك قول الرسول ﷺ ويستدل بقول نصراني؟!!

القرآن كلام الله

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْأَمُلِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمُلِيُّ أَبُو مَرْوَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ، يَقُولُ: أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ»[١].

الشَّرْحُ

هذا الأثر عن المحدث المشهور عمرو بن دينار، يقول فيه: (أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ») أي: ليس بخالق ولا مخلوق.

(«مِنْهُ بَدَأَ») أي: تكلم الله به.

(«وَإِلَيْهِ يَعُودُ») يعني: في آخر الزمان حينما يترك الناس العمل به، فيرفع القرآن، **فمن الأشراط**: نزع القرآن من الصدور، فيصبح الناس لا يجدون في صدورهم، ولا في مصاحفهم آية.

(١) وذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد هل السنة والجماعة بسنده من طريق البخاري قال حدثنا الحكم بن محمد، قال حدثنا سفيان بن عيينة، قال: وذكره ج (٢/ ٢٦٢، ٢٦٧، ٣٠٢).

ومن أشراط الساعة الكبار التي تتبعها الساعة:

المهدي، والدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج(١).



(١) أخرج أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة، رقم (٤٣١٠) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: كُنَّا قُعُودًا نَتَحَدَّثُ فِي ظِلِّ غُرْفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا السَّاعَةَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ تَكُونَ - أَوْ لَنْ تَقُومَ - السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالدَّجَّالُ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَالدُّخَانُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ، خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ، مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ» وصححه الألباني.

الْقَوْلُ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهَمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ بِهِ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَهُوَ: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَهُ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الشَّرْح

هذه المسألة الثانية وهي: القول في رؤية الله ﷻ وبيّن أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ الصواب أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم، وهذا الذي قرره الأئمة، **وهو الذي دلت عليه النصوص**:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣] والمراد النظر بالعين بدليل:

أ ـ أنه إضاف النظر إلى الوجه.

ب ـ عدّاه بكلمة (إلى).

فدل على أن النظر بالعين المجردة.

٢ ـ قال الله تعالى عن الكفرة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: ١٥].

٣ ـ الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وفي غيرهما، التي بين النبي ﷺ فيها أن المؤمنين يرون ربهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، كما في حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ

ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً ـ يَعْنِي: البَدْرَ ـ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ...**»[١].

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، أن المؤمنين يرون ربهم عياناً بأبصارهم، يرونه في موقف القيامة، ويرونه في الجنة.

*** وثبت أن المؤمنين يرون ربهم أربع مرات في موقف القيامة، كما بينت الأحاديث؛**

- يرونه أولاً، ثم يتحول.

- ثم يرونه ثانية في غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فينكرون.

- ثم يرونه في الصورة التي رأوه فيها أول مره، فيسجدون له، إلا المنافقين لا يستطيعون السجود.

- فإذا رفعوا رؤوسهم رأوه مره أخرى، فهذه أربع مرات.

* أما الكفرة فهم محجوبون: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥]، **وهل يرونه في موقف القيامة؟**

الجواب: فيه خلاف؛

القول الأول: قال: يرونه ثم يحجبون، ويكون حجبهم عذاب عليهم.

القول الثاني: ومنهم من قال: أن الرؤية خاصة بالمؤمنين، ولا يراه إلا المؤمنون والمنافقون؛ لأنهم كانوا معهم.

القول الثالث: لا يراه إلا المؤمنون.

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في أكثر من موضع، منها في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾، رقم (٧٤٣٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العصر والمحافظة عليها، رقم (٦٣٣).

۞ مذهب أهل البدع في رؤية الله:

أنكرت **المعتزلة والجهمية** رؤية الله في الآخرة، وفسروا الأحاديث بأنها العلم «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ**» قالوا: أنكم تعلمون ربكم كما تعلمون القمر، لا تشكون في العلم به، وهذا من أفسد مما قيل في تفسير الحديث.

أما **الأشاعرة** فإنهم جمعوا بين قول أهل السنة وقول المعتزلة، فقالوا قولا مذبذباً، قالوا: إن المؤمنين يرون ربهم؛ لكن في غير جهة.

أيرون ربهم من فوق؟ يقولون: لا.

من تحت؟ يقولون: لا.

من يمين؟ يقولون: لا.

من شمال؟ يقولون: لا.

من أمام؟ يقولون: لا.

من خلف؟ يقولون: لا.

أين يرونه؟ يقولون: يرون الله في غير جهة!

فسخر كثير من العقلاء منهم، وقالوا: إن هذا قول يضحك منه العقلاء، ولا يمكن أن تكون الرؤية إلا بمواجهة الرائي، ومباينته له.

فنقول: إن قول أن الله في غير جهة، قول لا وجه له، ولا يمكن أن تكون الرؤية إلا بجهة من الرائي.





دليل الرؤية من السنة

حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِبِ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، وَحَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ الْمُنْتَصِرِ، وَمُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ تَمِيمٌ: أَنْبَأَنَا يَزِيدُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وَمَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ رَاءُونَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩][(١)].

وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِحَدِيثِ مُجَاهِدٍ، قَالَ يَزِيدُ: مَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. حَلَفَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَأَقُولُ أَنَا: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَدَقَ يَزِيدُ وَقَالَ الْحَقَّ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث أصله في الصحيحين في حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً ـ يَعْنِي البَدْرَ ـ فَقَالَ:

---

(١) سبق تخريجه. ولفظه في الصحيحين: «**سترون ربكم**».

«**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، ...**»[١] أي: لا يصيبكم ضيم، ولا ازدحام، كما أن الإنسان يرفع رأسه ويرى القمر فوقه، فكذلك الإنسان يرى ربه يوم القيامة من دون ازدحام، بخلاف الشيء الذي تنظر إليه تحت فتحتاج الى ازدحام، وكلٌ يرى القمر وهو في مكانه، تشبيه برؤية الله رؤيةً واضحة، كما ترون القمر فوقكم رؤية واضحة، وليس المراد تشبيه الله بالقمر ـ تعالى الله ـ وإنما المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، كما في حديث الصحيحين.

وجاء عند الشيخين زيادة وهي من قول النبي ﷺ: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»[٢] والصلاة التي قبل طلوع الشمس هي الفجر، والتي قبل غروبها هي العصر.

قال العلماء: إن المحافظة على هاتين الصلاتين: الفجر والعصر لهما مزيّة في الرؤية، فالمحافظة عليهما من أسباب النظر لله يوم القيامة.

○ قوله: (قَالَ يَزِيدُ: مَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. حَلَفَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَأَقُولُ أَنَا: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَدَقَ يَزِيدُ وَقَالَ الْحَقَّ)[٣]، من أنكر رؤية الله ثبت عند العلماء والأئمة أنه كافر، وهذا التكفير ـ كما سبق ـ على العموم؛ أما المعيّن فلا يكفر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث جرير بن عبدالله في الصحيحين المخرج سابقا.

(٣) هذا كلام ابن جرير ـ كما سبق ـ وقول يزيد بن هارون كما ذكره ابن جرير، ذكره ـ أيضا ـ عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة ج (١/ ٢٣٢)، وأبو حفص ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة ص (٣٠).

حتى تقوم عليه الحجة.

والمعتزلة أنكروا رؤية الله ﷻ فقالوا: إن الله لا يُرى، كما قالوا: أن القرآن مخلوق، وقد كفر المعتزلةَ جمعٌ من أهل العلم.

● مسألة: **هل يصح إطلاق الجهة في مسألة الرؤية، فيقال: إن الله يُرى إلى جهة العلو، أو يقال في العلو من دون ذكر الجهة؟**

▪ الجواب: الأصل أن لفظ الجهة لفظ مجمل لم يرد في كتب السنة لا بنفي ولا بإثبات، فمن قال: إن الله في جهة، استُفصل منه، فيقال: **ما مرادك بالجهة؟**

فإذا أراد جهة ثبوتية وأن الله في شيء من مخلوقاته فهذا باطل.

وإن أراد جهة عدمية وهي ما فوق العرش حيث تنتهي المخلوقات، فالمخلوقات سقفها عرش الرحمن والله فوق العرش فهذا حق.

المقصود: أن من أثبت الجهة أو نفاها لابد أن يستفصل فلا تطلق نفياً ولا إثباتاً؛ لكن يقال إن الله في العلو فوق يرون الله من فوقهم وهو العلي العظيم: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النّحل: ٥٠].

كذلك لا يقال: إن الله جسم أو غير جسم، هذا لا ينكر بنفي ولا إثبات.



الْقَوْلُ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ

وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ لَدَيْنَا فِيمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَحَسَنَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ: فَإِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُقَدِّرُهُ وَمُدَبِّرُهُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ كَمَا يُرِيدُ.

الشَّرْحُ

هذه المسألة الثالثة في: أفعال العباد حسناتهم وسيئاتهم، **ومسألة أفعال العباد اختلف الناس فيها على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: وهو القول الحق، قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي دلت عليه النصوص؛ أن أقوال وأفعال العباد وقعت باختيارهم، وأن لهم قدرة واختيار، وإن كان الله خلق العباد؛ لكن العباد باشروا الأعمال والأقوال مختارين، فلهم قدرة ولهم اختيار، **وأفعال العباد نوعان:**

النوع الأول: أفعال اضطرارية، كحركة المرتعش والنائم ونبض العروق، هذه أفعال ليس فيها اختيار.

النوع الثاني: أفعال اختيارية، كأن تصلي وتصوم،فلا أحد يمنعك، فأفعال العباد تنسب إليهم حسناتهم وسيئاتهم، فهم يثابون على الطاعات، ويعاقبون على المعاصي، فهي أقوالهم وأفعالهم من الله خلقا وإيجادا، ومن العباد كسبا وتسببا واختيارا، فهذه عقيدة

أهل السنة والجماعة.

القول الثاني: ذهبت القدرية إلى أن العباد خالقون لأفعالهم الطاعات والمعاصي، قالوا: إن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم وأقوالهم.

وشبهتهم: في ذلك أنهم قالوا: لو قلنا: أن الله خلق المعاصي، وعذب عليها لصار ظالما، فنقول: أن العبد هو الذي خلق المعصية، حتى يعذب عليها، والعبد هو الذي فعل الطاعة، حتى يثاب عليها.

ولهذا قالوا: يجب على الله أن يثيب المطيع، فيستحق المطيع الثواب على الله كما يستحق الأجير أجرته؛ لأنه هو الذي خلق فعله، كما أن على الله أن يعاقبه، وليس أن يعفو عنه.

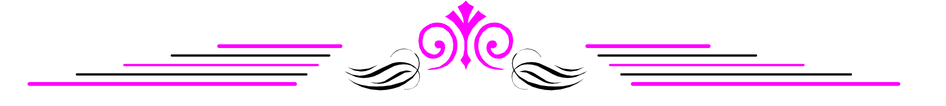
القول الثالث: ذهبت الجبرية ـ جبرية الأشاعرة والجهمية ـ إلى أن الأفعال أفعال الله، قالوا: إن الأقوال والأفعال كلها لله، والعبد ليس له أفعال؛ بل هي أفعال الله، فالله هو المصلي والصائم والفاعل، والعباد وعاء، فأفعال العباد كلها اضطرارية، مثل نبض العروق؛ والأفعال والأقوال تُمَرُّ عليهم فهم كالكوز الذي يصب فيه الماء، والله هو الفاعل كصبّاب الماء فيه، فليس لهم قدرة واختيار، **وهذا من أبطل الباطل.**

والصواب ما أقره أبو جعفر وهو مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن العباد لهم أفعال اضطرارية، ولهم أفعال اختيارية، فهي من الله خلقا وإيجادا وتقديرا، ومن العبد فعلا وتسببا وكسبا ومباشرة كما قرره المؤلف، ولهذا قال: (وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ لَدَيْنَا فِيمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ أَفْعَال الْعِبَادِ وَحَسَنَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ: فَإِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُقَدِّرُهُ وَمُدَبِّرُهُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ كَمَا يُرِيدُ) هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

خلافا للقدرية القائلين أنهم العباد يخلقون أفعالهم، وخلافا للجبرية القائلين إن الأفعال أفعال الله، وأن العبد مجبور على أفعاله.





الإيمان بالقدر

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْحَسَّانِيُّ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(١). اللَّفْظُ لِحَدِيثِ أَبِي الْخَطَّابِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (بن يحيى).

الشَّرْحُ

هذا الحديث ضعيف فإن فيه: عبدالله بن ميمون، منكر الحديث متروك، فإنه متهم بالكذب، وإن كان له شواهد، **لكن أصح منه:** حديث جبريل عليه السلام، الذي رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مطولا، ورواه البخاري عن أبي هريرة مختصراً أن جبريل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «**الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٢).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، رقم (٢١٤٤)، وقال عقيبه: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون، وعبدالله بن ميمون منكر الحديث.

(٢) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الإيمان، باب الإسلام وما هو وبيان خصاله، رقم (١٠) وفي البخاري كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام ... رقم (٥٠).

ومن القدر أن تعلم: أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

وفي الباب أيضا: حديث عبادة بن الصامت ﵁ أنه قال لابنه: «**يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**»[(١)].



(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٠)، والإمام أحمد ج (٥/٣١٧)، رقم (٢٢٧٥٧)، واللفظ له، وصححه الألباني.



القدرية

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(١).

الشَّرْحُ

الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ في القدرية بين العلماء أنها ضعيفة ولكنها ثابتة عن الصحابة، بخلاف أحاديث الخوارج، فأحاديثهم ثابتة في الصحيحين وغيرها، وشيخ المؤلف اسمه الدورقي وليس الجوزجاني ـ كما في بعض النسخ ـ، فليس في شيوخ المؤلف من اسمه يعقوب ابراهيم الجوزجاني.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما فيه كلام، لكن له شواهد؛ فالحديث ثابت وهو حديث حسن.

يقول ابن عمر: («الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»)، سمّاهم مجوس؛ لمشابهتهم للمجوس في القول بتعدد الخالق، **فالمجوس تقول العالم له خالقان**: خالق للخير وهو النور، وخالق للشر وهو الظلمة، **ووافقهم القدرية فسمّوا مجوس؛ لأنهم يوافقونهم**؛ فإنهم

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٦٩١)، وابن أبي عاصم في السنة ج (١/ ١٤٩)، والطبراني في الأوسط ج (٣/ ٦٥).

يقولون: العبد يخلق فعل نفسه، وعلى هذا كل واحد خالق، **فوجه الشبه** القول بتعدد الخالق.

ولكن القدرية زادوا على المجوس، فالمجوس ما قالوا إلا بخالقَينِ، والقدرية قالوا: خالقِينَ بعدد الجن والإنس.

فالقدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، لأنهم مبتدعة، والمبتدع لا يُزار لا يُعاد ولا تُتبع جنازته، قد حذر الأئمة والعلماء من أهل البدع وحضور مجالسهم وزيارة مرضاهم، تحذير للناس من بدعتهم وهجراً منهم لأهل البدع.



الْقَوْلُ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا الْحَقُّ فِي اخْتِلَافِهِمْ فِي أَفْضَلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَمَا جَاءَ عَنْهُ ﷺ وَتَتَابَعَ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ السَّلَفُ وَذَلِكَ مَاحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ سَيَّارٍ الرَّمَادِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِي، وَفِي أَصْحَابِي كُلِّهِمْ خَيْرٌ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَاخْتَارَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَةَ قُرُونٍ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِي، الْقَرْنَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ تَتْرَى، وَالْقَرْنَ الرَّابِعَ فَرْدًا»(١).

الشَّرْحُ

هذه المسألة الرابعة وهي: الْقَوْلُ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تكلم فيها المؤلف عن الصحابة وعن الخلفاء بعد النبي ﷺ، وبين أن أحقّ الناس بالخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، وهذا هو الذي أجمع عليه الصحابة، فقد **أجمعوا على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة**، مرتبون هكذا في الخلافة وفي الفضل،

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ج (٢/ ٤١)، والخطيب في تاريخ بغداد ج (٤/ ٢٧٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في كتاب فضل الخلفاء الأربعة وغيرهم ص (١٧٣).

أفضل الناس وأحقهم بالخلافة أبو بكر، ثم أفضل الناس وأحقهم بالخلافة بعد أبي بكر عمر، ثم أفضل الناس وأحقهم بالخلافة بعد عمر عثمان، ثم أفضل الناس وأحقهم بالخلافة بعد عثمان علي رضي الله عنهما.

لكن حصل في تفضيل عثمان رضي الله عنه على علي رضي الله عنه خلاف في مذهب الإمام أبي حنيفة، فقد روي عن الإمام أبي حنيفة أنه يقول أن عليا أفضل من عثمان في الفضيلة؛ لكن في الخلافة يقدم عثمان على علي.

الخلاف في أي شيء؟ خلاف في الفضيلة، هذه رواية.

ثم روي عنه أنه رجع ووافق الجمهور.

هذا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية[1]، أن الخلاف في الأفضلية لا في الخلافة، فمن قدم عليا على عثمان رضي الله عنهما في الخلافة فهو أضل من حمار أهله؛ ولأن من قدم عليا على عثمان رضي الله عنهما فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، لأن المهاجرين والأنصار أجمعوا على بيعة عثمان رضي الله عنه وأن عثمان رضي الله عنه أحق، ومن قال أن عليا أفضل من عثمان رضي الله عنه في الخلافة فقد احتقر قول المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم وأرضاهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

هذا ما أقره ابن جرير رحمه الله وفي حديث جابر بن عبدالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: («**إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِي، وَفِي أَصْحَابِي كُلِّهِمْ خَيْرٌ**»)، والشاهد أنه قال: («**وَاخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا**») لكن ليس فيه ترتيب، ثم قال: («**وَاخْتَارَ**

(١) العقيدة الواسطية ص (١١٧، ١١٨) ط ١٤٢٠هـ

أُمَّتِي عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَاخْتَارَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَةَ قُرُونٍ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِي الْقَرْنَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ تَتْرَى، وَالْقَرْنَ الرَّابِعَ فَرْدًا») وهذا الحديث ضعيف، وفي متنه نكارة كما قال المحقق ابن عساكر في تاريخ دمشق(١):

١ ـ سنده ضعيف لضعف عبدالله بن صالح، أبو صالح.

٢ ـ في متنه نكارة، وهذه النكارة من جهتين:

الجهة الأولى: أنه قال: («وَاخْتَارَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَةَ قُرُونٍ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِي»)، **والصواب**: أن القرن الأول هو القرن الذي فيه النبي ﷺ ليس من بعد أصحابي.

الجهة الثانية: قوله: («وَالْقَرْنَ الرَّابِعَ فَرْدًا»)، ذكر أربعة قرون بعد قرنه ﷺ، فصارت خمسة قرون، والقرن الذي فيه النبي ﷺ ليس فيه فضيلة أربعة قرون بعد قرن النبي ﷺ، وهذا مخالف للحديث الصحيح، والأحاديث الصحيحة دلت على أن القرون المفضلة ثلاثة.

القرن الأول هو قرن النبي ﷺ كحديث عمران بن حصين: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، **والصواب**: أنه ذكر بعد قرنه: قرنين. قَالَ ﷺ: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»(٢) لو أتى المؤلف بحديث عمران بن حصين الصحيح لكان أولى.

---

(١) انظر تاريخ دمشق ج (٢٩/ ١٨٤، ١٨٥، ١٩٨).

(٢) متفق عليه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٦٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٥).

فضل الخلفاء وترتيبهم

وَكَذَلِكَ نَقُولُ: فَأَفْضَلُ أَصْحَابِهِ ﷺ: الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ الْفَارُوقُ بَعْدَهُ عُمَرُ، ثُمَّ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الشَّرْحُ

ذكر المؤلف أن أفضل الصحابة الصديق ثم الخلفاء عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، و(ثم) تفيد الترتيب والتراخي، ولكن في عبارته رحمه الله غاير بين الأئمة الثلاثة، وبين الخليفة الرابع، فالصديق رضي الله عنه أتى بكنيته ولقبه، وعمر رضي الله عنه أتى بالكنية واللقب، ثم أتى بكنية ولقب عثمان رضي الله عنه، ثم قال: (ثُمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ).

ومن هنا ذهب بعض من قال: إن الطبري متشيع؛ لأنه ميّز عليا على عثمان رضي الله عنهما بل يميز عليا رضي الله عنه على الخلفاء الراشدين، فهو ذكرهم جميعهم بالكنية، ثم ميز عليا رضي الله عنه بأمير المؤمنين، وكان الأولى أن يقول: أبا الحسن.

أما أن يميز عليا رضي الله عنه ويقول: (أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ) فهذا الذي دعا بعض الناس أن يرموه بالتشيع.

ولكنه لديه عذر أنه لم يخصه بشيء، وأنه إنما هو: أمير المؤمنين وإمام المتقين.

ليس كما تقول الرافضة: أنه معصوم، فبين أنه ليس معصوما، وأنه ليس الخليفة الأول، وأنه إنما وصفه بأنه أمير المؤمنين، ولم يصفه كما تصفه الرافضة بالمعصوم، أو كرّم الله وجهه.

فالرافضة يقولون أن النبي ﷺ نص على أن الأئمة بعده اثني عشر، وأن الأئمة معصومون، وأن أول من نص عليه: علي بن أبي طالب، ثم الحسن بن علي ثم الحسين بن علي، ثم البقية من نسل الحسين، فالرابع: علي بن الحسن ـ زين العابدين ـ، والخامس: محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى، ثم محمد علي الجواد، ثم بعد ذلك الهادي ثم المهدي، حتى يصل إلى المهدي المنتظر محمد بن حسن الثاني عشر من نسل الحسين. قالوا: [هؤلاء الأئمة معصومون] وقالوا: [إن الصحابة كفروا وارتدوا بعد موت النبي ﷺ وأخفوا النصوص التي تدل على النص للأئمة، وولوا أبا بكر زورا وبهتانا. ثم ولّوا عمر زورا وبهتانا،ثم ولّوا عثمان زورا وبهتانا، ثم وصلت للخليفة الأول علي بن ابي طالب].

وتكفير الصحابة هذا مذهب الرافضة، تكفير الصحابة ردة عن الإسلام؛ لأن الله زكاهم وعدلهم ووعدهم بالجنة، فمن كفّرهم فقد كذب الله، ومن كذب الله فقد كفر.

كما أنهم يعبدون آل البيت ويستغيثون بهم وهذا شرك، كما أنهم يعتقدون أن القرآن غير محفوظ أو ما بقي منه إلا الثلث، وهذا تكذيب لله في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

فأبو جعفر ابن جرير عذره أنه أراد يبين أنه ليس معصوماً، وأن يتبرأ من قول النواصب والخوارج الذين يكفّرون عليا، وينصبون له

العداوة أو يفسقونه، فقال: إنه أمير المؤمنين وإمام المتقين.

لكن مع ذلك كان الأولى أن يقول كما قال في الأئمة الثلاثة: أبو الحسن علي بن أبي طالب.

وإمام المتقين على الإطلاق هو: الرسول عليه الصلاة والسلام؛ **لكن مقصود المؤلف** أن عليا إمام المتقين في زمانه بعد النبي ﷺ، وإلا فالرسول ﷺ هو إمام المتقين في حياته وبعد مماته.



الصواب فيمن هو أحق بالإمامة

وَأَمَّا أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا فِيمَا اخْتَلَفُوا مَنْ أَوْلَى الصَّحَابَةِ بِالْإِمَامَةِ، فَبِقَوْلِ مَنْ قَالَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا حَشْرَجُ بْنُ نُبَاتَةَ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مُلْكٌ»[(١)]، قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ: سَنَتَانِ، وَخِلَافَةُ عُمَرَ: عَشْرٌ، وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ: اثْنَتَا عَشْرَةَ، وَخِلَافَةُ عَلِيٍّ: سِتٌّ، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَوَجَدْتُهَا ثَلَاثُونَ سَنَةً

الشَّرْحُ

هذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي، وهو حديث حسن، **ومقصود المؤلف بهذا** أن يبين إثبات خلافة الخلفاء الراشدين، خلافا للرافضة الذين ينكرون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

وهذا الحديث معروف بحديث سفينة، قال: فنظرت فوجدتها ثلاثون سنة، أي: تستغرق خلافة الخلفاء الراشدين. ولهذا قال له: أمسك؛ خلافة أبي بكر سنتان ـ والمقصود حذف الكسر، وإلا فخلافة أبي بكر سنتان وأربعة أشهر ـ، وخلافة عمر عشر ـ حذف

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٦)، والترمذي في كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، رقم (٢٢٢٦).

الكسر، وإلا فهي عشر وستة أشهر ـ، وخلافة عثمان اثنا عشر ـ وكسر ـ، وخلافة علي أربع سنين ـ وكسر ـ إذا جمعتها يبقى ستة أشهر للحسن بن علي رضي الله عنه الذي تولى الخلافة بعد أبيه، ثم تنازل بعد ستة أشهر عنها لمعاوية رضي الله عنه لحقن دماء المسلمين.

فيكون جميعها ثلاثون سنة من خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وستة أشهر التي تولى فيها الحسن بن علي رضي الله عنه.

وهذا خلافا للرافضة الذين يقولون: إن أبا بكر مغتصب وظالم، وعمر مغتصب وظالم، وعثمان مغتصب وظالم، وأن الخليفة الأول الذي نُص عليه هو: علي رضي الله عنه، وهذا باطل.

وحديث سفينة حديث حسن تلقاه العلماء بالقبول، وفيه: إثبات خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم خلافاً للرافضة.



الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ، زِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ هَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؟ وَهَلْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، أَمْ لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ؟ فَإِنَّ الصَّوَابَ فِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَبِهِ جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ مَضَى أَهْلُ الدِّينِ وَالْفَضْلِ.

الشَّرْحُ

هذه المسألة الخامسة من مسائل الإعتقاد التي تناولها المؤلف أبو جعفر ابن جرير الطبري وهي: (الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ، زِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ هَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؟ وَهَلْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، أَمْ لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ؟ فَإِنَّ الصَّوَابَ فِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَبِهِ جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ مَضَى أَهْلُ الدِّينِ وَالْفَضْلِ):

بيّن المؤلف القول الصواب في هذه المسألة، وهو قول أهل السنة والجماعة، والذي تدل عليه النصوص أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل والصحابة والأئمة كلهم على هذا القول؛ وأن الإيمان: قول وعمل، **والقول نوعان، والعمل نوعان؛ فمسمى الإيمان مكون من أربعة أشياء:**

- قول القلب: وهو الإقرار والتصديق.

- قول اللسان: وهو النطق.

- عمل القلب: وهو النية والإخلاص والمحبة والخوف.

- عمل الجوارح: كالصلاة والصيام والحج وبر الوالدين إلى غير ذلك.



ما روي عن السلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ، فِي مَعْنَى الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْيَبُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ، وَمَا نُقْصَانُهُ؟ فَقَالَ: «إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ فَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا، وَضَيَّعْنَا، وَنَسِينَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ»[1].

الشَّرْح

استدل المؤلف بأقوال الصحابة على أن الإيمان قول وعمل.

عمير بن حبيب قال: («الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ، وَمَا نُقْصَانُهُ؟ فَقَالَ: «إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ فَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ)، يعني: يزيد بالعمل الصالح، إذا عمل الإنسان الطاعة وصلى وسبح الله.

وإذا فعل معصية نقص الإيمان، ولهذا قال: («وَإِذَا غَفَلْنَا، وَضَيَّعْنَا، وَنَسِينَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ») وهو أثر صحيح، وهو دليل على أن الصحابة على هذا القول أن الإيمان يزيد وينقص.

(١) أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه ج (٦/ ١٦٠)، وعبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة ج (١/ ٣١٥)، وأبو بكر الخلال في السنة ج (٥/ ٤٨)، وغيرهم.

تعريف السلف للإيمان

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ إِقْرَارٌ بِلَا عَمَلٍ، وَيَقُولُونَ: «لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ»[1].

الشَّرْح

هذا أثر عن ثلاثة من التابعين، وسنده حسن.

وفيه أنهم ينكرون قول المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان إقرار بلا عمل.

فيقول هؤلاء العلماء التابعون رحمهم الله: لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان ـ التصديق والإقرار ـ.

❍ قوله: (لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ) فلابد له من عمل يتحقق به الإيمان، وإلا صار كإيمان إبليس وفرعون، حيث أنهم استكبروا عن العمل فلم يتحقق إيمانهم بالعمل.

(١) أخرج هذا الأثر أبوالقاسم اللالكائي وبنفس السند في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج (٤/ ٩٣٠)، كما أورده في نفس الجزء ص (٩٢١)، عن ابن عمر مرفوعا إلى النبي ﷺ.

ο قوله: (وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ) فلا عمل إلا بتصديق في الباطن يصحح له، كالصلاة والصيام فلا تصح إلا بإيمان، و إلا صار كإسلام المنافقين، فهم يصلون ويصومون ويحجون؛ ولكن ليس عندهم إيمان في الباطن يصحح هذا العمل؛ لأنهم مكذبون في الباطن.

والمؤلف هنا اختصر ولم يذكر أصناف المرجئة، ولم يذكر الأدلة من الكتاب والسنة على قول أهل السنة، فأهل السنة يقولون: إن الإيمان قول وعمل، ـ قول باللسان وعمل بالجوارح ـ يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

ـ والأدلة على أن الإيمان قول وعمل كثيرة، مثل:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وجه الاستدلال: فذكر سبحانه أن وَجَلَ القلوب عند ذكر الله، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والصلاة والزكاة كلها في مسمى الإيمان.

٢ ـ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: ١٥].

٣ ـ ثبت في الصحيحين في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ـ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ـ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ**

الْإِيمَانِ»[(١)].

فالإيمان بضع وسبعون شعبة، والبضع: من ثلاثة إلى تسعة، والبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتبع شُعب الإيمان من الكتاب والسنة، وأوصلها إلى تسع وسبعين شعبة، وصنف مؤلفاً سماه: (شعب الإيمان) فكلها داخل مسمى الإيمان تسع وسبعون شعبة؛ أعلاها: قول لا اله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، فمثّل ﷺ بـ:

شعبة قولية وهي لا إله إلا الله.

وشعبة فعلية وهي إماطة الأذى عن الطريق.

وشعبة قلبية وهي الحياء.

٤ ـ في حديث عبد قيس في الصحيحين أنهم جاءوا إلى النبيﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذْهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: **«آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ـ وَعَقَدَ بِيَدِهِ هَكَذَا ـ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ: الدُّبَّاءِ، وَالحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالمُزَفَّتِ»**[(٢)].

وجه الاستدلال: فسر الإيمان بالأعمال فدل على أن الأعمال

---

(١) متفق عليه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩) ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٣٥)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه عن ابن عباس البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب قول الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الرُّوم: ٣١] رقم (٥٢٣) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، رقم (١٧).

داخلة في مسمى الإيمان.

ـ **والأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص كثيرة أيضا، فمنها:**

١ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٣ ـ قوله جل وعلا: ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤].

ولكن المؤلف اقتصر على ذكر أثرين، كذلك لم يذكر أصناف المرجئة، واكتفى بهذا الأثر أنهم يقولون لا إيمان بلا عمل.

● مسألة: **هل في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ»(١) استدلال على أن الإيمان ينقص بالمعصية؟**

■ الجواب: هذا الحديث يدل على أن الإيمان ينقص بالمعصية، وأن صاحب المعصية ضعيف الإيمان، فهذا الحديث دليل على مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، فمن آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، ليس المراد أنه كافر بل المراد أنه لم يدخل قلبه الإيمان الكامل، أما أصل الإيمان فقد دخل في قلبه فهو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره مؤمن، فالمغتاب لو قلت له: هل أنت مؤمن بالله ورسله وملائكته؟ لقال: نعم، **فعنده أصل الإيمان؛ ولكن ليس عنده كمال الإيمان** الذي يمعنه من الغيبة، ولهذا وقع في الغيبة، فكمال الإيمان الواجب هذا لم يكن عنده، فالغيبة منعته من الإيمان الكامل

---

(١) سبق تخريجه.

الواجب، فليس كافراً بل هو مؤمن ضعيف الإيمان لم يدخل الإيمان الواجب الكامل في قلبه، وإن كان أصل الإيمان معه.

والمرجئة أربعة أصناف:

المذهب الأول: أعلى طائفة في المرجئة وأخبثها وأشرها وأفسدها قول مرجئة الجهمية، الذين يقولون: [الإيمان مجرد المعرفة في القلب؛ والكفر جهل الرب بالقلب].

وهذا أفسد قول في تعريف الإيمان؛ لأن العلماء ألزموا الجهم بأن إبليس مؤمن، وفرعون مؤمن لأنهما يعرفان ربهما، واليهود كذلك يعرفون ربهم!

وقول الجهم أيضا: [الكفر جهل الرب بالقلب] قال العلماء: إنه كافر بتعريفه على نفسه؛ فهو أجهل الناس بربه.

المذهب الثاني: قول الكرّامية الذين يقولون إن الإيمان النطق باللسان، فإذا نطق بلسانه (لا إله إلا الله)، فهو كامل الإيمان ولو كان مكذباً بقلبه، وإذا كان مكذباً فهو مخلد في النار، **فيلزم على قولهم**: أن المؤمن كامل الإيمان مخلد في النار، فجمعوا بين قولين متناقضين.

المذهب الثالث: مذهب الماتريدية والأشاعرة يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

المذهب الرابع: المرجئة من الفقهاء وهو أن الإيمان شيئان:

١ ـ إقرار باللسان.

٢ ـ تصديق بالقلب.

وأن الأعمال ليست من الإيمان؛ ولكنها مطلوبة.

ومرجئة الفقهاء طائفة من أهل السنة.

وأول من قال إن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان هو حمّاد بن أبي سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة.

ـ **أبو حنيفة له روايتان:**

الرواية الأولى: أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب وهذه عليها جمهور أصحابه.

الرواية الثانية: أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، والإقرار باللسان ركن زائد، وهذا مذهب الماتريدية والأشاعرة، وكلها باطلة.

ولكن مرجئة الفقهاء يوافقون أهل السنة في المعنى يقولون: الواجبات واجبات، والمحرمات محرمات؛ لكن لا نسميها إيمان وإنما نسميها: بر وتقوى وهدى، و أهل السنة يسمونها: إيمان وهدى وتقوى وبر، فهم وافقوا أهل السنة في المعنى وخالفوهم في اللفظ.

وجمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى، ولا يجوز للإنسان مخالفة الكتاب والسنة باللفظ والمعنى؛ بل الواجب التأدب مع النصوص.



القول في ألفاظ العباد بالقرآن

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي أَلْفَاظِ الْعِبَادِ بِالْقُرْآنِ، فَلَا أَثَرَ فِيهِ نَعْلَمُهُ عَنْ صَحَابِيٍّ مَضَى، وَلَا تَابِعِيٍّ قَضَى، إِلَّا عَمَّنْ فِي قَوْلِهِ الْغَنَاءُ وَالشِّفَاءُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ، وَفِي اتِّبَاعِهِ الرُّشْدُ وَالْهُدَى، وَمَنْ يَقُومُ قَوْلُهُ لَدَيْنَا مَقَامَ قَوْلِ الْأَئِمَّةِ الْأُولَى: أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِنَّ أَبَا إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيَّ حَدَّثَنِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: «اللَّفْظِيَّةُ جَهْمِيَّةٌ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فَمِمَّنْ يَسْمَعُ؟».

الشَّرْحُ

هذه المسألة السادسة وهي: القول في ألفاظ العباد بالقرآن، هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ لم يجد في القول في ألفاظ العباد بالقرآن كلاما لأحد من أهل العلم، لا عن صحابي ولا عن تابعي، إلا عن شخص **في قوله الغناء** ـ بفتح الغين والمد ـ: الكفاية، أما الغنى بكسر الغين فهي ضد الفقر، فأنا أتبعه في ذلك.

○ قوله: (وَمَنْ يَقُومُ قَوْلُهُ لَدَيْنَا مَقَامَ قَوْلِ الْأَئِمَّةِ الْأُولَى) وهو الإمام أحمد بن حنبل، إذ يقول رَحِمَهُ اللهُ: («**اللَّفْظِيَّةُ جَهْمِيَّةٌ**») أي: الذي

يقول: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جمهي، فالجهمية يقولون: إن القرآن مخلوق، وينكرون صفات الله، فاللفظية جهمية.

واستدل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، أي: فماذا يسمع؟ إنما يسمع كلام الله، فإذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فقد قال: إن كلام الله مخلوق.



تتمة القول في ألفاظ العباد بالقرآن

ثُمَّ سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِنَا لَا أَحْفَظُ أَسْمَاءَهُمْ يَذْكُرُونَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ».

وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ إِمَامٌ نَأْتَمُّ بِهِ سِوَاهُ، وَفِيهِ الْكِفَايَةُ وَالْمَنْعُ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُتَّبَعُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ.

الشَّرْحُ

هذا النقل الثاني عن الإمام أحمد، قال أبو جعفر: (سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِنَا لَا أَحْفَظُ أَسْمَاءَهُمْ يَذْكُرُونَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: « **مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ**») وهذه المقالة مشهورة عن الإمام أحمد، قد نقلها عنه العلماء، ونقلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ووجّهوها، فمن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، **لماذا؟**

لأن اللفظ قد يراد به الملفوظ، فإذا أراد الملفوظ صار من الجهمية.

ولأن اللفظ قد يراد به الشيء الساقط.

ومن قال لفظي بالقرآن غيرمخلوق فهو مبتدع؛ لأنه خالف قول السلف.

- **فالإمام أحمد سد الباب من الجهتين،** فلا تقل مخلوق ولا تقل غير مخلوق.

فمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي؛ لأن اللفظ يراد به الملفوظ فيكون قد أنكر صفات الله أنكر كلام الله

ومن قال: لفظي غير مخلوق فقد خالف قول السلف فهو مبتدع.

- **والإمام البخاري في صحيحه ميّز وفصل** وذلك بين ما يقوم بالعبد وبين ما يقوم بالرب، فبين في أبواب متعددة أن أفعال العباد وحروفهم وألفاظهم كلها مخلوقة، وإذا قال: باب قراءة المنافق والفاجر وأصواتهم وقراءتهم لا تجاوز تراقيهم، ثم ذكر الحديث.

- وظن بعض الناس أن هناك خلافا بين الإمام أحمد والإمام البخاري، **ولا خلاف بينهما؛** فالأئمة كلهم متفقون على أن العبد مخلوق في أقواله وأفعاله وحركاته، وأن كلام الله لفظه ومعناه وحروفه صفة من صفاته.

- الإمام أحمد والإمام البخاري كلاهما إمام من أهل السنة، ومعاذ الله أن يحصل خلاف بين أئمة أهل السنة؛ ولكن الإمام أحمد رحمه الله أجمل وسدّ الباب وسدّ الذريعة، فقال من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال القرآن غير مخلوق فهو مبتدع، وأراد رحمه الله سد الذريعة؛ لأن من يقول لفظي بالقرآن مخلوق قد يراد باللفظ الملفوظ، فإذا أراد كذا فهو قول الجهمية، أي أنكر أن يكون الكلام كلام الله، وإذا قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، يعني أنه

خالف قول السلف، فأراد سد الباب.

والإمام البخاري فصّل وبّين وميّز وترجم بتراجم متعددة، يبين فيها أن ألفاظ العباد وحروفهم وكلامهم كله مخلوق، بما يعلمه الله ﷻ، وحصل لبس عند بعض الناس في زمن الإمام البخاري، وتعلقوا بالقول المجمل للإمام أحمد، مع الحسد الذي أصابهم للإمام البخاري عندما رفع الله صيته، ونشر فضله بين الناس، فحصلت فتنة في صفوف المحدثين، تسمى: مسألة اللفظ، وهجر بعضهم الإمام البخاري وبدّعوه، وقال بعض من كان في زمانه: من جلس في مجلس البخاري فهو مبتدع، وسبب ذلك أمران:

١ ـ الحسد الذي أصاب بعض الناس لما رفع الله ذكر البخاري وقدره.

٢ ـ تعلقهم بالقول المجمل شبهة وشهوة، شهوة هي شهوة الحسد، وشبهة من القول المجمل للإمام أحمد، وإلا فلا منافاة في قول الإمامين، الإمام أحمد لا يريد أن أقوال العباد وأفعالهم أنها ليست مخلوقة بل يرى ويقرر: أن العباد مخلوقون بأقوالهم وأفعالهم؛ لكنه أراد أن يسد الباب؛ فكثير من الناس لا يفرقون بين اللفظ والملفوظ، فسد الباب حتى لا يقع الناس في البدعة.

وأما الإمام البخاري فصّل وميّز وأشبع البحث وبين أنما يقوم به العباد من الأفعال والأقوال وحروف العباد وألفاظهم وأداءهم وحركاتهم وسكناتهم كلها مخلوقة، وأما كلام الله فصفة من صفاته لفظه ومعناه.

ثم ختم الإمام الطبري رحمه الله **هذا الباب** بأنه مادام الإمام أحمد قال هذا الكلام، فنحن نقول مثل قوله، ولا قول في ذلك عندنا،

فلا نقول قولاً لم يسبقنا أحد من الأئمة، ولم نجد كلاما إلا للإمام أحمد، وهو إمام أهل السنة والجماعة، إمام هدى فاتباعه فيه الكفاية.



الْقَوْلُ فِي الِاسْمِ

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الِاسْمِ: أَهُوَ الْمُسَمَّى أَمْ غَيْرُ الْمُسَمَّى؟ فَإِنَّهُ مِنَ الْحَمَاقَاتِ الْحَادِثَةِ الَّتِي لَا أَثَرَ فِيهَا فَيُتَّبَعُ، وَلَا قَوْلَ مِنْ إِمَامٍ فَيُسْتَمَعُ، فَالْخَوْضُ فِيهِ شَيْنٌ، وَالصَّمْتُ عَنْهُ زَيْنٌ. وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، وَالْقَوْلِ فِيهِ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ، الصَّادِقِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَيَعْلَمَ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ⑥﴾ [طه: ٦]، **فَمَنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ وَهَلَكَ.**

الشَّرْحُ

__هذه المسألة السابعة__ من المسائل التي بحثها المؤلف، وهي: القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى، يعني: اسم الله (الرحمن) هل الاسم غير المسمى أو المسمى هو الاسم ولا فرق بينهما؟

أنت الآن اسمك محمد اسمك هل هو نفس ذاتك أو يختلف؟

الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله قال: البحث في هذا من الحماقات الحادثة، لا أثر لا عن الصحابة ولا عن التابعين، وليس

هناك أحد من الأئمة تكلم فيها، **فإذن نسكت**، ولهذا قال: (فَالْخَوْضُ فِيهِ شَيْنٌ، وَالصَّمْتُ عَنْهُ زَيْنٌ)، فالصمت أحسن إذ الكلام والبحث فيها من الحماقات، فلا تبحث، هذا ما قرره الإمام أبو جعفر وقال: (وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، وَالْقَوْلِ فِيهِ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ، ﷻ ثَنَاؤُهُ) أي يكفيك كلام الله ﷻ، اقرأ قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، واقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ادعو الله بأسمائه ولا تتكلم ولا تقل اسم ولا مسمى، **فحسب الإنسان أن يقرأ الآيات ويثبت لله الأسماء والصفات.**

❍ قوله: (وَيَعْلَمَ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) أي: أن تعتقد أن الله سبحانه على العرش استوى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾ [طه: ٦]، ولا تتجاوز ذلك، (فَمَنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ وَهَلَكَ) فالذي يقول الاسم هو المسمى والمسمى هو الاسم قد تجاوز ذلك، فهو خاسر هالك ضال، هذا ما قرره أبو جعفر الطبري؛ **ولكن العلماء بحثوا في هذه المسألة،** فبحثها شارح الطحاوية، ونقل فيها عن شيخ الإسلام، وابن القيم - إذ شرح الطحاوية كلها نقول عن كتب شيخ الإسلام وابن القيم، وكذلك ينقل عن شيخه الحافظ ابن كثير -.

فنفصل في ذلك الاسم؛ عين المسمى أو غيره، وطالما غلط كثير من الناس في ذلك وجَهِلوا الصواب فيه. **فالاسم يراد به**: المسمى تارة، **ويراد به**: اللفظ الدال على المسمى تارة أخرى، وهذا يختلف باختلاف السياق والقرائن، **فإذا قلت**: (قال الله) أو (سمع الله لمن حمده) ونحو ذلك **فهذا المراد به المسمى نفسه.**

وإذا قلت: (الله) اسم عربي و(الرحمن) اسم عربي و(الرحيم) من أسماء الله ونحو ذلك، فالاسم هنا هو المراد من المسمى.

ولا يقال: غيره؛ أي: لا يقال الاسم غير مسمى؛ لما في لفظ الغير من الإجمال، **فإذا قيل**: المسمى غير مسمى الاسم، وأريد المغايرة بأن اللفظ غير المعنى، فهذا حق.

وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه أسماء من صَنعتهم، **فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله.**

الخلاصة:

فتبين في هذا أن الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ تارة.

ولا يقال الاسم غير المسمى لما في لفظ الغير من الإجمال، فإذا قال شخص: الاسم غير المسمى **فنقول** ما مرادك بالمغايرة؟

إن أردت إن اللفظ غير المعنى، فهذا حق.

وإن أردت أن الله كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء، أو سماه خلقه أسماء من صنعنهم، فهذا ضلال وإلحاد في أسماء الله تعالى.



التحذير من تقويل أحدا مالم يقله

فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ بَعُدَ مِنَّا فَنَأَى، أَوْ قَرُبَ فَدَنَا، أَنَّ الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ بِهِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَا بَيَّنَّاهُ لَكُمْ عَلَى وَصْفِنَا، فَمَنْ رَوَى عَنَّا خِلَافَ ذَلِك أَوْ أَضَافَ إِلَيْنَا سِوَاهُ أَوْ نَحَلَنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا غَيْرَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ ،مُتَخَرِّصٌ مُعْتَدٍ، يَبُوءُ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ فِي الدَّارَيْنِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُورِدَهُ الْمَوْرِدَ الَّذِي وَرَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضُرَبَاءَهُ، وَأَنْ يُحِلَّهُ الْمَحَلَّ الَّذِي أَخْبَرَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ يُحِلُّ أَمْثَالَهُ، عَلَى مَا أَخْبَرَ ﷺ.

الشَّرْح

بعد أن انتهى المؤلف من المسائل الاعتقادية السبع، **ختم ذلك بخاتمة** حذّر فيها من تقويل الإنسان مالم يقله، وحذر فيه من الغيبة وأكل أعراض الناس.

قال: (فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ بَعُدَ مِنَّا فَنَأَى) أي: بلغوا ما قررته من هذه المسائل، انقلوا الكلام ولا تزيدوا ولا تنقصوا.

فليبلغ الشاهد منكم الغائب، (مَنْ بَعُدَ مِنَّا فَنَأَى، أَوْ قَرُبَ فَدَنَا) يعني: بلغوا البعيد والقريب، معتقدنا: (أَنَّ الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ بِهِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَا بَيَّنَّاهُ لَكُمْ عَلَى وَصْفِنَا) وهي المسائل السبع.

ودعا المؤلف على من نقل كلاماً لم يقله، أو غَيّرَ كلامه، فقال: (فَمَنْ رَوَى عَنَّا خِلَافَ ذَلِكَ أَوْ أَضَافَ إِلَيْنَا سِوَاهُ أَوْ نَحَلَنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا غَيْرَهُ) يعني: أضاف إلينا أو ادّعى علينا وقوّلنا شيئاً لم نقله في ذلك قولاً غيره.

○ قوله: (فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ، مُتَخَرِّصٌ مُعْتَدٍ) **وصفه بأربعة أوصاف:**

١ ـ كاذب.

٢ ـ مفتري.

٣ ـ معتدي.

٤ ـ متخرص.

○ قوله: (يَبُوءُ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ فِي الدَّارَيْنِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُورِدَهُ الْمَوْرِدَ الَّذِي وَرَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضُرَبَاءَهُ) يعني: أمثاله.

○ قوله: (وَأَنْ يُحِلَّهُ الْمَحَلَّ الَّذِي أَخْبَرَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ يُحِلُّ أَمْثَالَهُ، عَلَى مَا أَخْبَرَ ﷺ) يريد ما جاء في قوله ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[(١)]، وأيضاً قوله ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»[(٢)].

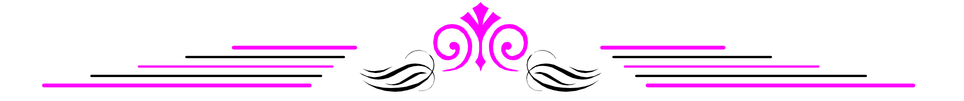
---

(١) متفق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب فضل العلم، رقم (١١٠) ومسلم في مقدمة الكتاب، باب التحذير من الكذب على رسول الله، رقم (٣).

(٢) أخرجه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الترمذي في كتاب أبواب العلم، باب ما جاء فيمن روى حديث وهو يرى أنه كذب، رقم (٢٦٦٢)، وابن ماجة في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة، باب من حدث عن رسول الله ﷺ حديث وهو يرى أنه كذب، رقم (٤١)، والإمام أحمد ج (٣٠/ ١٧٤)، رقم (١٨٢٤٠)، وقد أورده الإمام مسلم في المقدمة ج(١/ ٨).

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك خمسة أحاديث كلها في التحذير من الغيبة وتقويل الإنسان ما لم يقله، وبيان الغيبة المحرمة، وأكل أعراض الناس وما فيها من البشاعة والإثم.





الترهيب من الكلام القبيح والنميمة

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ الْحِمْصِيِّ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ بُشَيْرٍ الْعِجْلِيِّ، عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ الْأَصْبَحِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى: يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ وَالْجَحِيمِ، يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَدْ آذَوْنَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟: فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ، وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ، فَيَقُولُ لِصَاحِبِ التَّابُوتِ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أَمْوَالُ النَّاسِ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: قد سقط مني، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ قَذِعَةٍ فَيَسْتَلِذُّهَا كَمَا يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَهُ، مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَيَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ»(١).



في الحديث الأول، يذكر أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ج (٧/ ٣١٠)، وابو نعيم في الحلية ج (٥/ ١٦٧)، وابن المبارك في الزهد ج (٢/ ٩٤)، قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ٢٠٩): رواه الطبراني في الكبير، وهو هكذا في الأصل المسموع، ورجاله موثقون.

من الأذى، يسعون بين الحميم والجحيم:

الأول: (فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ) وهذا الأول الذي عليه التابوت مات وفي عنقه أموال الناس، زاد في الحلية: (ما نجد لها قضاء أو وفاء)[١] هذا عذابه أنه في تابوت مغلق عليه من جمر؛ لأنه أخذ أموال الناس ولم يجد لها وفاءاً، لو صحّ لحُمل على من أخذ أموال الناس ولا يريد أداءها كما ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ**»[٢].

فمن أخذها وهو يريد أداءها أي: نوى آداءها؛ لكن لم يتمكن حتى مات أدى الله عنه.

الثاني: (وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ في النار) أما الثاني الذي يجرّ أمعاءه لما سُئل قال كلام (سقط مني) يعني: نَسِيَه، وقد ذُكر في المعجم الكبير للطبراني[٣] والحلية[٤] إنه كان لا يبالي أين أصاب البول منه لا يغسله.

الثالث: (وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا) هذا الثالث الذي يسيل فوه قيحاً ودماً، إذا سئل قال: (كَانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ قَذِعَة) يعني: سيئة قبيحة فيستلذها كما يستلذ الرفث، وهذا هو الشاهد من سياق الحديث، الذي يتكلم بالكلام السيئ ويأخذ الكلمة القبيحة وينشرها

---

(١) انظر: حلبة الأولياء لأبي نعيم ج (٥/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، رقم (٢٣٨٧).

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج (٧/ ٣١٠)، ورقم (٧٢٢٦).

(٤) انظر: حلية الأولياء ج (٥/ ١٦٧).

ويستلذ بها.

الرابع: (وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ) وهذا الرابع الذي يأكل لحمه إذا سُئل قال إنه كان يمشي بالنميمة ويأكل لحوم الناس.

فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يحذر من النميمة وأكل لحوم الناس، والكذب على الناس بالقول عليهم ما لم يقولوا؛ **ولكن هذا الحديث ضعيف بثلاث علل:**

العلّة الأولى: جهالة ثعلبة بن مسلم فإنه مجهول، والحديث إذا كان فيه مجهول فهو ضعيف.

العلّة الثانية: جهالة أيوب بن بشير العجلي فهو مجهول.

العلة الثالثة: الإرسال فإن شفي بن ماتع الأصبحي تابعي.

فالحديث ضعيف لا يعول عليه، وكان الأولى بالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يكتفي بالنصوص الصحيحة، فعندنا في القرآن ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

والأحاديث الصحيحة: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[1].

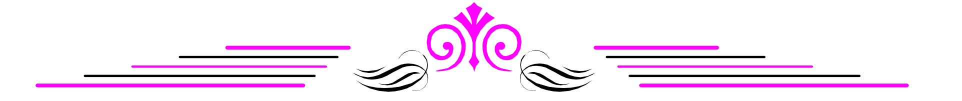
وحديث ابن عباس قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»، قَالَ فَدَعَا بِعَسِيبٍ

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الغيبة، رقم (٢٥٨٩).

رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(١).



(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦) ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢)



دليل آخر على ترهيب من يعيب المسلم

حَدَّثَنا خَلَّادُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلِ بْنِ حَرَشَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِمَا لَيْسَ فِيهِ لِيُعِيبَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ»[(١)].

الشَّرْح

الحديث رواه أيضا الطبراني في الأوسط، ولكنه ضعيف:

١ ـ عمرو بن عبدالله الأودي وهو ضعيف.

٢ ـ والطبراني أيضا رواه عن شيخه مقدام بن داود وهو أيضا ضعيف.

فالحديث فيه: الوعيد على من ذكر امرءاً بما ليس فيه ليعيبه، حَبَسَه الله في جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه؛ لكن الحديث ضعيف، **ويكفي** ما يلي:

١ ـ أن من ذكر امرءاً بما ليس فيه اتصف بصفة الكذب.

٢ ـ أنه آذى أخاه المسلم؛ وهذا من العدوان، وهو من حقوق الخلق؛ **وحقوق الخلق مبنية على المشاحّة.**



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ج (٨/ ٣٨٠)، وانظر: مجمع الزوائد (٨/ ٩٤).

الترهيب من أكل لحوم الناس

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ الطَّائِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الرَّازِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ الْحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ صُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[1].

الشَّرْح

هذا الحديث الثالث من الأحاديث التي ذكرها المؤلف، وهذا الحديث سنده صحيح.

وفي الحديث:

١ ـ تحذير من الغيبة.

٢ ـ أن المغتابين يعذبون في البرزخ بأرواحهم؛ فالنبي ﷺ رءاهم ليلة المعراج، وذلك قبل يوم القيامة.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (٤٨٧٨)، والأمام أحمد ج (٢١/٥٣)، رقم (١٣٣٤٠).

ثم إذا كان يوم القيامة فيعذبون بأرواحهم وأجسادهم، فتبعث يوم القيامة الأرواح والأجساد فيعذبون، أما في البرزخ فتعذب الأرواح، قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ** ـ الروح تأخذ شكل الجسد ـ، **فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِم**»[1].

٣ ـ في الحديث أن الغيبة من أسباب عذاب القبر، والله قد حذر منها وبشّعها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

هل تستطيع أن تأكل لحماً ميتاً، فكيف إذا كان لحم الميت لحم إنسان، وكيف إذا كان الميت الإنسان أخوك؟!

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [الحُجرَات: ١٢]، اتقوا الله من الغيبة والنميمة واتقوه إنه هو التواب الرحيم لمن تاب.

٤ ـ وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[2]، دائر بين الأمرين إما غيبة أو بهتان، إذن لا تتكلم مطلقاً في عرض أخيك سواء موجودا أو غير موجود، واجهه بالكلام قل يا فلان أنت فعلت كذا أو قلت كذا؟ هل هذا صحيح؟ بيّن لي ذلك؟

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الغيبة، رقم (٢٥٨٩).

أما تتكلم في غيبته فهذا كبيرة من كبائر الذنوب إن كان فيه ما تقول فهي غيبة، وإن لم يكن فيه ما تقول فهو بهتان.

فالغيبة من أسباب عذاب القبر، ومن أسباب العذاب في البرزخ، ومن كبائر الذنوب.

وعذاب القبر هو عذاب البرزخ، والبرزخ هو الفاصل بين الدنيا والآخرة عذاب البرزخ من حين يموت الإنسان إلى أن تقوم القيامة، حتى يبعث الله الأجساد هذا يقال له البرزخ وهو الفاصل قال تعالى: ﴿۞وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان: ٥٣]، فهو فاصل بين الدنيا والآخرة، وعذاب البرزخ وعذاب القبر إلى أن يبعث الله الأجساد، ثم تبدأ بعد ذلك الآخرة.

● مسألة: هل ذكر أخطاء العالم وطالب العلم وترديدها بحجة الجرح والتعديل والتحذير تعتبر غيبة؟

▪ **الجواب:** لا ينبغي للإنسان أن يذكر أخطاء العالم وينشرها أمام الناس، هذا إنما يكون لأهل العلم، فكون الإنسان عالم وعنده بصيرة ثم رأى أن عالماً أخطأ في بعض المسائل، فإنه يكتب إليه أو يشافهه في هذه المسائل، ويكون بينه وبينه محاورة حتى يتبين الحق فإن أصر على ذلك ولم يرجع وكان في هذه الأخطاء مضرة على الناس فإن العالم يرد عليه وينشرها للناس ويبين للناس الحق، أما غير العالم فلا ينبغي له أن ينشرها ويتكلم في أعراض العلماء، فليتعلم أولا ويتبصر ويسأل أهل العلم فيما أشكل عليه؛ ثم إنه قد يظن أن عالماً أخطأ وليس الأمر كذلك، فالإنسان الذي يسأل وعنده بصيرة قد يظن أن العالم أخطأ وهو ليس بمخطئ، قد يكون فهمه

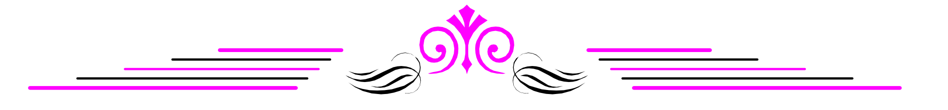
السقيم هو المخطئ، والأخطاء تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ليس فيه ضرر على أحد فهذا لا داعي إلى نشره، وإنما يكاتب العالم أو يشافهه وإذا أصر فلا ضرر.

القسم الثاني: فيه ضرر على الناس، فإذا لم يرجع فإن العالم الثاني يرد عليه، ويبين الصواب للناس حتى لا يضلوا.

ـ أما أن يأتي صغار الطلبة ويصف العلماء بالأخطاء، وينشرها أمام الناس فهذا من الغيبة وأكل لحوم الناس ولحوم العلماء مسمومة، بعض الناس يخطّئ العلماء ويتكلم فيهم ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، فالواجب الإقلاع عن هذه الخصلة الذميمة، وأن يُقبل على طلب العلم، ويبتعدوا عن التبديع والتفسيق في كلام العلماء وفي المسلمين، وهذه التحزبات التي فرقت الشباب، عليهم أن يرجعوا إلى رشدهم ويكونوا حزبا واحدا، هو حزب أهل السنة والجماعة، هذا هو الذي ينبغي عليهم، فلستَ مكلّفاً بالناس، ولستَ أهلاً لأن تبدّع أو أن تفسّق، فالتبديع والتكفير والتفسيق هذا الحكم لله ولرسوله، لا يكفّر إلا من كفّره الله ورسوله، ولا يبدّع إلا من بدّعه الله ورسوله، ولا يفسّق إلا من فسّقه الله ورسوله، وأنت لم تصل إلى هذه الدرجة، فلا زلت طالب علم صغير اترك هذا لغيرك.





حديث آخر

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاتِكَةِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَقِيعَ الْغَرْقَدِ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرَيْنِ ثَرِيَّيْنِ، فَقَالَ: «أَدَفَنْتُمْ هُنَا فُلَانًا وَفُلَانَةَ؟» أَوْ قَالَ: «فُلَانًا وَفُلَانًا؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «قَدْ أُقْعِدَ فُلَانٌ الْآنَ يُضْرَبُ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ضُرِبَ ضَرْبَةً مَا بَقِيَ مِنْهُ عُضْوٌ إِلَّا انْقَطَعَ، وَلَقَدْ تَطَايَرَ قَبْرُهُ نَارًا، وَلَقَدْ صَرَخَ صَرْخَةً سَمِعَتْهَا الْخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَوْلَا تَمْرِيجُ قُلُوبِكُمْ وَتَزَيُّدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ»، ثُمَّ قَالَ: «الْآنَ يُضْرَبُ هَذَا، الْآنَ يُضْرَبُ هَذَا»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ضُرِبَ ضَرْبَةً مَا بَقِيَ مِنْهُ عَظْمٌ إِلَّا انْقَطَعَ، وَلَقَدْ تَطَايَرَ قَبْرُهُ نَارًا، وَلَقَدْ صَرَخَ صَرْخَةً سَمِعَهَا الْخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَوْلَا تَمْرِيجٌ فِي قُلُوبِكُمْ وَتَزَيُّدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ذَنْبُهُمَا؟، قَالَ: «أَمَّا فُلَانٌ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا فُلَانٌ ـ أَوْ فُلَانَةُ ـ فَإِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ»[1].

---

(١) حديث أبي أمامة هذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج (٣٦/٦٢٦)، ورقم (٢٢٢٩٢)، بلفظ آخر وقال في مجمع الزوائد (١/٢٠٨): رواه أحمد، وفيه علي بن يزيد [بن علي] الألهاني عن القاسم، وكلاهما ضعيف، و أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج (٨/٢١٦)، ورقم (٧٨٦٩)، وقال في مجمع الزوائد (٣/٥٦): رواه الطبراني في الكبير، وفيه علي بن يزيد، وفيه كلام. =

الشَّرْحُ

هذا الحديث الرابع وهو حديث أبي أمامة، قال: (أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَقِيعَ الْغَرْقَدِ) وهو البقيع المعروف الآن القريب من المسجد النبوي، (فَوَقَفَ عَلَى قَبْرَيْنِ ثَرِيَّيْنِ، فَقَالَ: «أَدَفَنْتُمْ هُنَا فُلَانًا وَفُلَانَةَ؟» أَوْ قَالَ: «فُلَانًا وَفُلَانًا؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «قَدْ أُقْعِدَ فُلَانٌ الْآنَ يُضْرَبُ») يعني: في قبره يعذب، (ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ضُرِبَ ضَرْبَةً مَا بَقِيَ مِنْهُ عُضْوٌ إِلَّا انْقَطَعَ، وَلَقَدْ تَطَايَرَ قَبْرُهُ نَارًا، وَلَقَدْ صَرَخَ صَرْخَةً سَمِعَتْهَا الْخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَوْلَا تَمْرِيجُ قُلُوبِكُمْ) التمريج: الفساد على ظاهر السياق، فلولا أن يحصل لكم تكدُّرٌ في حياتكم وعدم استقرار. (وَتَزَيُّدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ) هذا من رحمة الله أننا لا نسمع أصوات المعذبين، فلو أننا نسمع أصوات المعذبين في قبورهم لما استطاع أهل الدنيا أن يعيشوا، ولا أن يأكلوا ويشربوا، وكان من رحمة الله أنهم لا يسمعون؛ ولكن البهائم تسمع تعذيب المعذبين، ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية يأمر بأن يُذهب بالخيل إذا أصابها ـ فإذا أكلت ترابا أو شيئاً ثقيلا في بطنها، وثقل عليها وأريد علاجها ـ قال: اذهبوا بها إلى قبور النصارى أو الرافضة، فيذهبون بها فتسمع صوت المعذبين فيحصل لها إسهال وينزل ما في بطونها، فيكون لها علاجاً من ذلك.

جاء في الحديث أن النبي مرّ بقبر مشرك فقست به بغلته حتى

= قال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٤): رواه ابن جرير الطبري من طريق علي بن يزيد عن القاسم عنه ورواه من هذه الطريق أحمد بغير هذا اللفظ وزاد فيه قالوا يا نبي الله حتى متى هما يعذبان قال غيب لا يعلمه إلا الله.

كاد أن يسقط، ثم قال الآن يضرب هذا، الآن يضرب هذا.

ثم قال: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ذَنْبُهُمَا؟، قَالَ: «أَمَّا فُلَانٌ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا فُلَانٌ ـ أَوْ فُلَانَةُ ـ فَإِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ»)

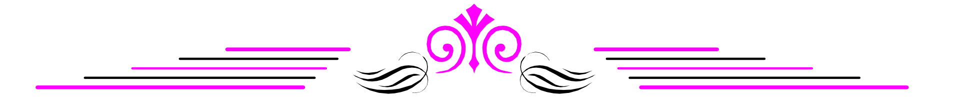
والحديث ضعيف، فالسند الذي ذكره المصنف وقع فيه **سقط** ما بين عثمان بن أبي العائكة وما بين أبي أمامة ﵁، فإن بينهما اثنان، **والتقدير هكذا**: ابن عثمان بن أبي العائكة بن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة، وعلي بن يزيد والقاسم ضعيفان، وعثمان كذلك ضعيف، فكلهم ضعاف، **فعلى هذا** يكون الحديث إسناده ضعيف؛ لأن هناك ثلاثة ضعفاء؛ **ولكن** معنى الحديث صحيح، معناه جاء في حديث صحيح آخر أخرجه الشيخان، ولفظه: **مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ...»** الحديث[(١)].

فالأولى على المؤلف أن يأتي بأحاديث صحيحة، ولكن **عذره في ذلك أنه يذكر السند**، والعلماء إذا ذكروا السند كانوا يؤلفون لعلماء، من مجرد ذكر السند يعرفون هل هو صحيح أو غير صحيح.

ومن أسند فقد برئ من العهدة، هو أعطاك السند وأنت ابحث في الرواة.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم (٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).



النهي عن تتبع عورات المسلمين

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[١].

آخر الكتاب والحمد لله وحده وكان الفراغ منه في يوم الأربعاء ثاني عشر من شهر المحرم الحرام افتتاح سنة أربعة وثمانين وألف، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين آمين آمين آمين.

الشَّرْحُ

هذا الحديث الخامس من الأحاديث الخمسة التي ذكرها المؤلف في التحذير من الغيبة والتحذير من تقويل أحد ما لم يقله، وهو حديث أبي برزة الأسلمي قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ،

(١) أخرجه من حديث أبي برزة الأسلمي أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (٤٨٨٠)، والإمام أحمد ج (٣٣/ ٢٠)، ورقم (١٩٧٧٦).

وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»(١).

والحديث حسن لغيره؛ لأن له شواهد، **القاعدة**: أن الحديث الضعيف إذا كان له شواهد أو متابعات؛ فإنه يرتقي من درجة الضعف إلى درجة الحسن لغيره، فيكون حجة؛ فهذا الحديث حجة.

وفي الحديث:

١ ـ التحذير من الغيبة.

٢ ـ التحذير من تتبع عورات المسلمين.

٣ ـ أن الجزاء من جنس العمل، فمن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته جزاءاً وفاقاً، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته، فلا ينبغي لإنسان أن يتتبع عورة أخيه، ولا ينبغي أن يتسمع وتصيد ويفتش والناس قد استتروا، فإن من استتر: إثمه عليه ولا يضر إلا نفسه، أما إذا أظهر شيئاً، فيؤخذ به ويعاقب.

فالإنسان إذا عمل ذنباً بينه وبين الله وأخفاه وجلس في بيته، فهذا ستر نفسه وهذا بينه وبين الله وليس لأحد أن يبحث عنه أو يتتبع عورته، أو يفتش أو يتسمع، بخلاف المجاهر الذي يجاهر ويعمل الفواحش أمام الناس، فهذا كما قال النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ**»(٢).

فالذي يجاهر ليس من أهل المعافاة والستر والعفو، بل من أهل الفضيحة؛ إذ قد فضح نفسه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، في كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، رقم (٦٠٦٩).

وقوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ**» **فيه دليل على**: أن المغتاب ضعيف الإيمان، وليس المراد أنه كافر؛ بل المراد أنه لم يدخل قلبه الإيمانَ الكاملَ الواجب، وإلا فإن عنده أصل الإيمان، كقوله «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١) يعني: لا يؤمن الإيمان الكامل الواجب وكقوله: «**لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ**» قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٢).

ومثل وقوله ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٣)، يعني: وهو مؤمن الإيمان الواجب الكامل، وإلا فعنده أصل الإيمان، **إذن فالنّمام والمغتاب والسارق والزاني عندهم أصل الإيمان؛ لكن لم يؤمنوا الإيمان الكامل والواجب**، ولا يطلق عليهم الإيمان بإطلاق ولا ينفى عنهم بإطلاق؛ بل يقال هو مؤمن ناقص الإيمان، أو يقال هو مؤمن ضعيف الإيمان، أو يقال: هو مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته.

وكذلك في النفي لا ينفى ولكن يقال ليس بمؤمن حقاً، هذا هو **الصواب الذي دلت عيه النصوص.**

---

(١) متفق عليه من حديث أنس البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، رقم (٤٥).

(٢) أخرجه الأمام أحمد من حديث أبي هريرة ج (١٤/١٥٣)، قال في مجمع الزوائد (٨/١٦٩): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه، رقم (٢٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة، رقم (٥٧).

فالزاني لا تقل عنه: إنه مؤمن؛ لأنك لو قلت مؤمن وافقت المرجئة، ولا تقل: ليس بمؤمن؛ لأنك إذا قلت ليس بمؤمن وافقت الخوارج، والمعتزلة، **إذن ماذا تقول؟**

لابد أن تُقيّد في النفي والإثبات، ففي الإثبات تقول: مؤمن ناقص الإيمان، وفي النفي تقول: ليس صادق الإيمان، أو ليس بمؤمن حقاً.

هذا فراغ الكاتب كتبه عام ١٠٨٤ من الهجرة، يعني بعد أن مضى على وفاة المؤلف ٧٧٤ سنة هجرة، إذ وفاة الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عام ٣١٠ من الهجرة النبوية.

وبهذا نكون قد انتهينا من هذه الرسالة، ويتبع ذلك مسائل:





مسائل

● **مسألة: ما هي الفِرَق التي أخرجها الأئمة من عداد الثلاث وسبعين فرقة وأجروها مجرى اليهود والنصارى؟**

▪ **الجواب:** القدرية الأولى الذين أنكروا علم الله وكتابته لأن مراتب القدر أربع:

المرتبة الأولى: علم الله السابق.

المرتبة الثانية: وكتابته لها في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: ثم الإرادة والمشيئة.

المرتبة الرابعة: ثم الخلق والإيجاد.

فلابد من الإيمان بالمراتب الأربع فمن لم يؤمن بها فليس بمؤمن، فالقدرية أنكروا علم الله بالأشياء، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وهم الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة، كما في صحيح مسلم عن يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ ـ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ ـ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ

الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي**»، **وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**(١).

وممن أنكر علم الله وكتابته للأشياء: القدرية الأول، وهؤلاء كفّرهم العلماء، وأخرجوهم من الإثنين والسبعين فرقة،ولهذا قال فيهم الشافعي: [ناظروا القدرية بالعلم، فإن اقروا به خصموا، وإن أنكروا به كفروا] وهؤلاء قد انقرضوا هؤلاء، الطائفة الأولى في زمن الصحابة كفار، فأخرجهم العلماء من فرق الأمة لكفرهم وظلالهم؛ لأنهم قالوا: إن الله لا يعلم بالشيء حتى يقع، وهذا كفر وضلال.

ثم حدثت الفرقة الثانية آمنوا بالمرتبة الأولى والثانية بعلم الله

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة، رقم (٨).

وكتابته؛ لكنهم أنكروا عموم الإرادة والمشيئة، وقالوا: إن الله أراد كل شيء إلا أفعال العباد، ولهم شبهة في هذا، وهو أنهم يظنون أنه لو قيل أن الله خلق أفعال العباد وعذبهم عليها صار ظالماً، فلما فبدّعهم العلماء قالوا مبتدعه.

والطائفة الأخرى التي أخرجهم العلماء من الـ ٧٢ فرقة، هي **الرافضة**؛ لأنهم عبدوا آل بيت وكفروا الصحابة، وكذبوا الله في أن القرآن محفوظ.

وكذلك **الجهمية** أخرجهم العلماء من الـ٧٢ فرقة، الذين أنكروا أسماء الله وصفاته، وذكر ابن القيم ﷺ أنه كفّر الجهمية حوالي ٥٠٠ عالم، منهم من كفرهم بالإطلاق، ومنهم من كفّر ولاتهم دون عامّتهم، قال عبدالله بن مبارك: إنا لنحكي أقوال اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي أقوال الجهمية لخبثها وشرها، وقال الإمام أحمد وغيره إن أقوال الجهمية تدور على أنه ليس فوق العرش أحد، وليس فوق العرش إله، نسال الله السلامة والعافية، وردّ عليهم الإمام أحمد لما قالوا إن الله لا يشبه المخلوقات بوجه من وجوه الشبه، قال لهم الإمام: لقد كفرتم قالوا كيف؟

قال لابد من إثبات شيء، وهو أن هناك نوع من الشبه لابد من إثباته، وهو المشابهة في الأمر الذهني عند قطع الإضافة والاختصاص، وهذا لفظ علمي لفظ قدرة لفظ سمع لفظ بصر، هذا يشمل علم الخالق وعلم المخلوق؛ لكن متى يكون هذا في الذهن فإذا أضيف قيل علم الله قدرة الله، زال الاشتباه وانتقل من كونه في الذهن صار في الخارج، وزال الاشتباه، الجهمية قالوا: إن الله لا يشبه المخلوق في أي وجه من وجوه الشبه، حتى في مسمى العلم ومسمى

القدرة، فبين الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كفرتم؛ لأنكم أنكرتم وجود الله.

فتكون ثلاث طوائف التي أخرجهم أهل العلم من الـ٧٢ فرقة؛ وهم: القدرية الأولى النفاة ـ بخلاف القدرية الثانية أنكروا العلم والكتابة ـ، والجهمية، والرافضة.

● **مسألة: هل الأشاعرة والماتريدية يدخلون في أهل السنة والجماعة؟**

▪ **الجواب:** لا، فالأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة، بل طائفة مستقلة، والأشاعرة ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، والماتريدية ينتسبون إلى منصور الماتريدي، وهم متقاربون في المذهب.

والأشاعرة يخالفون أهل السنة في الصفات وفي غير الصفات، الصفات مشهورة عنهم سبع صفات، هي الحياة والكلام والسمع البصر والعلم والقدرة والإرادة، ومنهم يثبت عشرين صفة، وبعضهم أربعين صفة.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، الصفات الذاتية والفعلية، ويثبتون جميع الأسماء، أهل السنة يقسمون الإرادة إلى قسمين، كذلك الماتريدية قريب من الاشاعرة مذهبهم.

أهل السنة يقسمون الإرادة إلى قسمين:

- إرادة كونية قدرية.
- وإرادة ذهنية شرعية.

وأما الأشاعرة فالإرادة عندهم نوع واحد وهي الإرادة الكونية، وينفون الإرادة الدينية، كما أن **المعتزلة لا يثبتون إلا الإرادة الدينية،**

وينكرون الإرادة الكونية.

وأهل السنة يثبتون أن الله تعالى أراد ربط الأسباب بالمسببات.

أما الأشاعرة فينكرون الأسباب، ويسمونها: علامات، فلا يعترف الأشاعرة أن ـ مثلاً ـ السكين سبب في القطع، ولا أن النار سبب في الإحراق والأكل سبب في الشبع، يقولون هذه علامات، يقولون السكين لا تقطع لكن الله يوجد القطع عند إجراء السكين، وجُعل علامة على القطع؛ ولكن هي لا تقطع، والنار ليست محرقة؛ ولكن عند إشعال النار يوجد الله الإحراق، وأهل السنة يقولون هي محرقة بذاتها والسكين قاطعة بذاتها، ولكن الله أوجد فيها هذه الخاصية، الله هو الذي أوجد فيها هذي الخاصية، وكذلك أيضا الأشاعرة يقولون العبد مجبور على الأفعال، وأهل السنة يقولون مختار، له قدرة واختيار، فالأفعال من الله خلقاً وإيجاداً، ومن العبد كسباً وتسبباً واختياراً، والأشاعرة يقولون العبد مجبور إلى غير ذلك من الخلاف، فالأشاعرة ليسوا من أهل السنة؛ ولكنهم وافقوا أهل السنة ماعدا الصفات السبع.

● مسألة: **القول في دراسة كتاب «جوهرة التوحيد» منظومة الباقلاني؟**

■ الجواب: جوهرة التوحيد منظومة تتمشى مع معتقد الأشاعرة، فالباقلاني من الأشاعرة، ولا ننصح بقراءتها؛ فمذهب الأشاعرة مذهب بدعي، يخالف أهل السنة والجماعة، فهو يقرر أن الصفات الثابتة لله سبع: الحياة والكلام والبصر والسمع والقدرة والإرادة، وينكر ما سوى ذلك، فينكر استواء الله على عرشه وعلوه، وينكر وصف الله بالرضا والغضب.

اقرأ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في الصفات، اقرأ الطحاوية، اقرأ أصول السنة للإمام أحمد، اقرأ الحموية لشيخ الإسلام، اقرأ التدمرية ... فاقرأ كتب أهل السنة، ولا تقرأ مؤلفات أهل البدع.

● **مسألة: بعضهم يقول: [الكفر الذي يخرج من الملة لا يكون إلا بشيء وقر في القلب] فهل هذا الكلام صحيح؟**

▪ **الجواب:** ليس بصحيح بل هذا قول المرجئة، فالكفر يكون بالقلب، ويكون باللسان إذا تكلم بكلمة كفر، ويكون بالجوارح، ويكون بالقلب إذ اعتقد أن الله له صاحبة وولدا، أو يشك في ربوبية الله أو ألوهيته، أو ملك من الملائكة قد يكون بالقلب أو اللسان أو الجوارح، وأما أن الكفر لا يكون إلا بالقلب فقط فهذا قول المرجئة، فالكفر يكون باللسان والقلب والجوارح.





خاتمة:

وفق الله الجميع ونسأل الله سبحانه أن يغفر للمؤلف ويجزيه خيراً، ونسأله ـ سبحانه ـ أن يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص والصدق في القول وأن يثبتنا على دينه القويم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع | رقم الصفحة